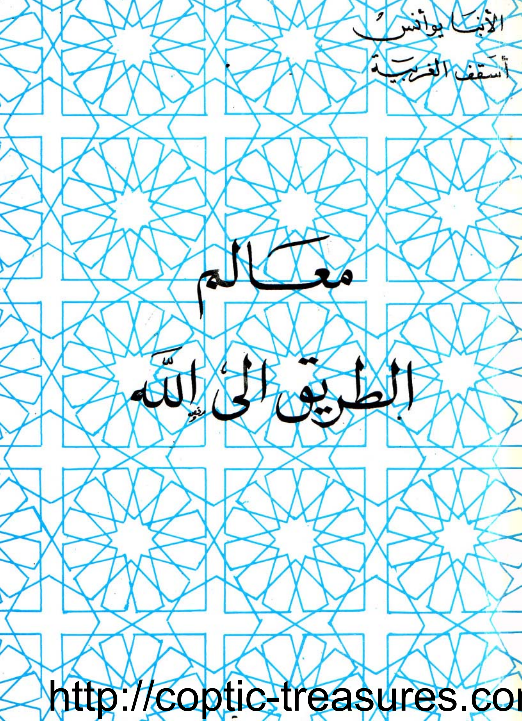


الأنبا يوأنس
أسقف الغربية

معالم الطريق إلى الله

محاضرات الصوم الأربعينى
٥

معالم الطريق إلى الله

الأنبا يوأنس
أسقف الغربية

الكتاب : معالم الطريق إلى الله .
المؤلف : نيافة الأنبا يؤانس .
الطبعة : الأولى يونية ١٩٨٤ م .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) ـ العباسية
رقم الإيداع بدار الكتب : ٣٦٥٩ / ١٩٨٤ .



قداسة البابا المعظم الأنبـا شـنوده الثـالث

تقـــديم

يقول الرب يسوع المسيح « وتعلمون الطريق » (إنجيل يوحنا ١٤ : ٤).

من الأمور التى يجب أن نعرفها ، أن **حياة الإنسان المؤمن فى العالم ، هى رحلة أو مسيرة نحو الله** ... والحياة مع الله سهلة وحلوة « نيرى هيّن وحملى خفيف » (إنجيل متى ١١ : ٣٠) ... لكن الأمر يتطلب أن يعرف الإنسان السائر فى الطريق نحو الله معالم هذا الطريق من جهة السهولة أو الصعوبة والعقبات التى سوف تصادفه ، والمشجعات التى سوف تدفعه لمزيد من السير والتقدم ، وعينات البشر وغير البشر الذين سوف يتعامل معهم أو يتصدّون له فى هذا الطريق ... إلخ ...

إن قلنا إن الطريق إلى الله سهلة وحلوة ، فيجب أن نعترف بصعوبات الطريق وخداعاته. يقول سليمان الحكيم **« توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت »** (أمثال ١٤ : ١٢). ولذا فهو يمتدح من يفهم حقيقة الطريق **« حكمة الذكى فهم طريقه »** (أمثال ١٤ : ٨) بهذا نفهم كلمات داود النبى وهو يتوسل إلى الله ويقول **« علّمنى يارب طريقك ... سهّل أمامى طريقك »** (مزمور ٢٧ : ١١ ؛ ٥ : ٨).

إن قلنا إن الله يرافقنا فى الطريق لكنه فى بعض الأحيان يتخلّى عن تخلية وقتية ، حتى ما يشتد عودنا ، وتزداد صلابتنا أو يكون ذلك سبباً فى تزكية إيماننا ... **ومن المفيد بل من اللازم أن يعرف الإنسان كل ما يمكن معرفته عن هذا الطريق حتى لا نقع فى فخاخ إبليس التى ينصبها لنا** ... فالقديسون أنفسهم لم يسلموا من هذه الفخاخ ... وحسناً قال القديس بولس الرسول « **ولا عجب ، لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور** » (كورنثوس الثانية ١١ : ١٤) ... ويضيف إلى ذلك قوله « **لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره (حيله)** » (كورنثوس الثانية ٢ : ١١) . **ولا شك أن معرفة معالم هذا الطريق** تجنّب الإنسان كثيراً من المعاثر والمعاطب .

وهذا الكتاب الذى نقدمه لك أيها الإبن المبارك والأخ الحبيب يسير **معك خطوة ويشرح لك معالم هذا الطريق ...**

إنه يكلمك أولاً عن « لماذا الطريق إلى الله » . ثم يشرح لك كيف نُعد لرحلة هذا الطريق ... وإذا كان المثل يقول الرفيق قبل الطريق ، فإنه يشير عليك بالعينات الصالحة لرفاق هذا الطريق ... بعد ذلك يشرح لك باسهاب مصاعب الطريق . لكنه فى نفس الوقت ـ وحتى لا تقع فى صغر النفس ـ يحدثك عن مشجعات الطريق ... أخيراً يصل بك الكتاب إلى نهاية الرحلة أو خاتمة الطريق ويعطيها عنواناً « هتاف النصرة أكلمت السعى » وعلى هذا فإن هذا الكتاب هو خير رفيق وخير عون لك فى رحلة حياتك القصيرة على هذه الأرض .

مادة هذا الكتاب القيت فى سبع عظات فى الصوم الأربعينى المقدس سنة ١٩٧٧ فى مدينتى طنطا والمحلة الكبرى. وكان من المفروض أن يظهر هذا الكتاب قبل كتاب « إيماننا الأقدس » الذى ظهر أواخر سنة ١٩٧٨، وكتاب « كتابنا المقدس ومسيحنا القدوس » الذى ظهر أوائل سنة ١٩٨٠، وكذلك قبل كتاب « مسيحنا فوق الزمان » الذى ظهر أواخر سنة ١٩٨١ لكننا اضطررنا وقتها إلى الاسراع فى إصدار هذه الكتب الثلاثة لدواع إيمانية ملحّة لا تقبل التأجيل، مُفَضّلين إياها فى وقتها عن كتاب « معالم الطريق إلى الله » الذى يعالج موضوعاً روحياً ...

إنى أقدم الشكر لله الذى أعاننى على ظهور هذا الكتاب الآن. فلقد قمت بتنقيح مادته وأنا باحدى المستشفيات بمدينة تيبنجن بالمانيا الاتحادية خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٨٠. وبعد ذلك توالت ظروف الكنيسة الصعبة ابتداء من سنة ١٩٨١، والتى عاقتنى عن التفرغ لإصدار أى كتاب ... ونحن نصلى إلى الله من أجل سلام وبنيان كنيستنا المقدسة، ونطلب من إلهنا السلامة والعافية لرئيس رؤساء كهنتنا قداسة البابا شنوده الثالث ...

يسعدنى أن أقدم هذا الكتاب إلى أبناء كنيستى وأبناء ايبارشيتى الذين أنا مدين لهم بالحب والتشجيع ... أقدمه لكل مسيحى يجاهد من أجل الوصول إلى الله ويشعر أن غربته فى العالم قد طالت عليه ... واطلب صلوات كل قارىء لهذا الكتاب عن ضعفى، ليهبنى القوة والعون وصحة الروح والجسد حتى ما أكمل رحلة الغربة، ونكون مستحقين

فى النهاية لمشاركة القديس بولس الرسول هتاف النصرة الذى اطلقه « أكملت السعى » ...

وإنى اضع هذا الكتاب بين يدى من احبنا وفدانا ، ليجعله سبب بركة لكل من يقرأه .

وإلهنا المبارك الذى دعانا لمجده الأبدى فى المسيح يسوع يحفظ كنيسته وشعبه ويهبنا وحدانية القلب الذى للمحبة ، ويحفظنا جميعاً فى إيمانه بلا لوم ولا عثرة لحين ظهوره ... وله كل المجد والكرامة والسجود إلى الأبد آمين ،

يوأنس

بنعمة الله أسقف الغربية

٢٢ من يونية سنة ١٩٨٤ م تذكار تكريس كنيسة
١٥ من بؤونة سنة ١٧٠٠ ش الشهيد مارمينا العجائبى

لماذا الطريق إلى الله ؟

- لأنه الطريق الذى يتمشى مع طبيعة الإنسان وتكوينه .

ازدواج طبيعة الإنسان .
مشاعر الغربة فى القديسين .
أشواق الإنسان نحو السماء .

- كل رجال الله القديسين ساروا فيه .

- لأن طريق العالم يسلبنى سلامى وفرحى .

لماذا الطريق إلى الله ؟

لماذا الطريق إلى الله ؟

ربما بدت الإجابة على هذا السؤال سهلة هينة قصيرة ... وهى بالفعل هكذا . لماذا يسير الإنسان ويحيا مع الله ؟... ولكن كلما بسطنا الموضوع وتعمقنا فيه ، وكلما تأملنا تفصيلاته ودقائقه ، كلما استبانت لنا الحقائق المعزية . وكلما كشف لنا روح الله معانٍ سامية ، بها تشبع نفوسنا ، وتمتلىء قلوبنا تعزية ورجاءً... **فلماذا الطّريق إلى الله إذن ؟**

أولاً - لأنه الطريق الذى يتمشّى مع طبيعة الإنسان وتكوينه :

لعل أول نقطة تأتى كإجابة على هذا السؤال ، أن الطريق إلى الله هو الطريق الذى يتمشى مع طبيعة تكوين الإنسان ... لا تظنوا يا أحبائى أن الإنسان البعيد عن الله هو إنسان سعيد . لقد كذب من يدعى هذا الإدعاء ، حتى لو ملأ مثل هذا الإنسان - الذى يحيا بعيداً عن الله - الجو المحيط به تهريجاً ومزاحاً ومرحاً ... والحقيقة انه إنما يفعل ذلك ، لكى ما يخفى حزناً وكآبة وألماً وضيقاً يعتمل فى نفسه .

أ - ازدواج طبيعة الإنسان :

نرجع للإنسان فى بدء خلقته ... فبحسب التفصيلات التى أوردها سفر

التكوين فى قصة الخلق ، نرى أن الإنسان بحسب تكوينه ، فيه ازدواج فى طبيعته ... **فالإنسان ليس روحاً خالصاً ، وليس جسداً خالصاً . لكنه يتكون من جوهرين أو عنصرين متحدين ببعضهما ، هما الروح والجسد** ... وكما يحدثنا الرسول بولس : « **لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون** » (غلاطية ٥ : ١٧) ... **الروح الذى فى كل إنسان هو جوهر سماوى ، أما الجسد فهو جوهر ترابى** ... هكذا تقول قصة الخلق : « **وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض . ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفساً حيّة** . وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذى جبله ... وأخذ الرب الإله آدم ، ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها » (تكوين ٢ : ٧ ، ٨ ، ١٥) ... هذه هى طبيعة الإنسان ، الذى أوجده الله من العدم .

النقطة الثانية التى تتضح من قصة الخلق والسقوط ، أن **انفصال الإنسان عن الله بالخطية وبالمعصية يقوده إلى العدم** ... هكذا كان حكم الله على آدم بعد أن أخطأ وسقط : « بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أُخذت منها . **لأنك تراب وإلى التراب تعود** » (تكوين ٣ : ١٩) . هذا هو الجسد ...

أما بالنسبة للروح فكما قلنا إنها جوهر سماوى ... صلتها بالله ، وكل أشواقها ورجائها فيه ... وهكذا يا أحبائى ، **فإن الإنسان من عمق أعماقه يُحس بارتباط روحه بالله ، واشتياقها إلى السير معه ، بل إلى الاتحاد به ... لا يوجد انسان أبداً مهما بلغ من الشر، لا يود الحياة مع**

الله حياة طيبة . إنما المشكلة بالنسبة للإنسان الشرير، أو الخاطىء أنه قيّد نفسه بقيود ، يحسّ أنه عاجز عن التحرّر منها . نحن نعرف اناساً يبكون بالدموع لوعة وأسى ... يريدون أن يعيشوا مع الله ، لكنهم يجدون أنفسهم غير قادرين ... وعدم قدرتهم لا ترجع إلى الله وأنه يرفضهم ولا يريدهم ... حاشا لله . إنه **يريد أن جميع الناس يخلصون** ... إنه يدعو الكل ... يدعو كل التعابى وثقيلى الأحمال لكى يريحهم ... لكن توجد ثغرات وأسباب فى حياة أمثال هؤلاء لا مجال للخوض فيها الآن .

الإنسان البعيد عن الله ، الذى يشاهد دائماً ضاحكاً ويرسل النكات ، تأتى عليه أوقات يثور فيها ضميره ويبكى ... نقرأ عن بعض المجرمين المتهمين بجرائم بشعة كالقتل ، والصادر ضدهم احكام بالسجن المؤبد مثلاً - بعد أن يظل الواحد منهم مختفياً سنوات عديدة ، ويفشل رجال الشرطة فى القبض عليه - نرى مثل هذا الإنسان يذهب ويقدم ذاته للشرطة من تلقاء ذاته معترفاً بجريمته ... ألم يحدث ذلك ؟ نعم لقد حدث ، وقرأنا عن أمثال ذلك فى الجرائد السيّارة ... **وتعليل ذلك أن الإنسان بطبيعته - طبيعة الروح الذى فيه - يشتاق إلى الله والحياة معه ، وأن الشر دخيل على طبيعته .**

ولأن الله استودع الإنسان مثل هذه المشاعر والرغبات الباطنية ، نجد فى نفس قصة سقوط الإنسان الأول أن الله يمهد له الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه ... يقول الله لآدم « **أين أنت ؟** » ... عجباً ألا تعرف يارب أين آدم ؟! بالتأكيد الله يعرف . إذن فما معنى السؤال ؟ ... معنى السؤال ومغزاه ، أن الله يقوده إلى الاعتراف بخطئه ... لكن آدم

التوى ولم يكن صريحاً ، وكان جوابه : « سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عر يان فاختبأت » وما الذى اعلمك أنك عر يان . هل أكلت من الشجرة التى قلت لك لا تأكل منها ؟ وحتى هذه اللحظة نرى **الله يمهد لآدم سبيل الاعتراف بالخطأ الذى هو غر يب عن طبيعته** ... قال له « المرأة التى أعطيتنى » ... وهنا بدأ الإنسان ينسب الخطأ لله ، طالما أنه هو الذى أعطاه المرأة ، وهى التى قادته للخطأ !! و بعد ذلك كان الحكم المعروف الذى صدر من الله .

ونفس الملاحظة نجدها فى قصة قايين وهابيل ... فبعد أن قتل قايين أخاه هابيل ، نجد الله يسأل قايين عن أخيه « أين هابيل أخوك ؟ » ... وهنا أيضاً ألا يعرف الله أن قايين قد قتل هابيل ؟! ... لكن قايين يلتوى و يتجه اتجاهاً مخالفاً لطبيعته . هذه الطبيعة التي خلقها الله على صورته تر يد أن تتقيأ الشر . لكن إجابة قايين تأتى ملتو ية متجاهلة الأمر ، فيقول لله « **لا أعلم أحارس أنا على أخى ؟** » . والمعنى « هل أقمتنى أنت حارساً على أخى ؟ » فيبدأ الله يكشف لقايين كذبه والتواءه « **صوت دم أخيك صارخ إلىَّ من الأرض** » والله الذى كان يعرف ما فعله قايين بأخيه ، كان يمهد له سبيل الاعتراف والندم والتوبة ... وأخيراً أسقط فى يد قايين وانهار أمام الله ، بعد أن كشف له جريمته . وسوف نرى بعد قليل نوعية العقوبة التى وضعها الله على قايين (تكو ين ٤ : ٨- ١٥) .

فالإنسان أيها الأخوة بطبيعته ، من عمق أعماقه ير يد أن يعيش مع الله . **لكنه يجد نفسه عاجزاً ، غير قادر أن يفعل شيئاً ، خاصة بعد**

أن فسدت طبيعته جداً ... هل ممكن أن الله فى هذه الحالة يعمل ؟ سوف نرى ... واسمحوا لى أن أتوقف عند هذه النقطة قليلاً ، بل استطرد ...

حينما يمرض إنسان وتسوء حالته الصحية وتتدهور ، وتصل إلى مرحلة الخطر ، وتكون العلة قد استفحلت ، والصحة قد استهلكت ، ينصح الأطباء فى هذه الحالة بنقل دم لهذا المريض وبهذه الوسيلة يمكن إنقاذه ، وتعود إليه الحياة ثانية . على أنه يتحتم أن الدم الذى يُنقلَ إليه ، يكون من نفس فصيلة دم هذا المريض . ولو حدث ونقل للمريض دم من فصيلة أخرى تخالف فصيلة دمه ، تحدث صدمة وكارثة . وينتهى أمر هذا المريض بموت محقق ... **إن هذا هو عين ما عمله المسيح لإنقاذ البشرية كلها !!**

المسيح حينما اتحد بطبيعتنا ، كانت هذه الطبيعة مهلهلة وفاسدة فساداً كلياً « **الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد** » (رومية ٣ : ١٢) ... « **فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىَّ أى فى جسدى شىء صالح .** لأن الإرادة حاضرة عندى ، **وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد . لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل** ... ويحى أنا الإنسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رومية ٧ : ١٨- ٢٤) ... **هذا تصوير** لحال الإنسان ، بل البشرية كلها قبل المسيح ... ويقول معلمنا بولس إلى أهل غلاطية : « لما جاء **ملء الزمان** أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى »

(غلاطية ٤ : ٤ ، ٥) ... ومعنى « ملء الزمان » بالنسبة لفداء الإنسان ، أن الإنسان بالنسبة لطبيعته وصل إلى حالة ملء الفساد أو ذروة الفساد أو كمال الفساد ... الإنسان مضروب بالفساد من هامة الرأس إلى اخمص القدمين كما يقولون ... لا يوجد شيء سليم فى الإنسان العقل والفكر، القلب والعواطف ، الجسد والنفس ... وبات الأمر يتطلب علاجاً سريعاً ينقذ هذا الإنسان المسكين المشرف على الموت الروحى ، بل الذى كان ميتاً روحياً بالفعل .

إنقاذ الإنسان كان يتطلب عملية نقل دم أو نقل حياة ، فالحياة هى فى الدم (تثنية ١٢ : ٢٣) ... كان لا بد أن المسيح يتحد بطبيعتنا ، لكى ما يردّ إلينا الحياة ... وهذا ما تم فعلاً بالتجسد ، حينما أخذ الأقنوم الثانى فى الثالوث القدوس جسداً بشرياً من العذراء مريم ، وجعله واحداً مع لاهوته ... لكن رغم ذلك ، فالإنسان مازال من حين إلى حين يخطىء وينحرف . والخطية تجلب معها الموت : « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم . وبالخطية الموت » (رومية ٥ : ١٢) ... « أجرة الخطية هى موت » (رومية ٦ : ٢٣) ... وهكذا نحتاج من حين إلى حين عملية نقل دم . وهذا ما يحدث فى سر الافخارستيا ... فذبيحة الافخارستيا غير الدموية ، هى امتداد لذبيحة الصليب ... ونحن نأخذ دماً من الكأس التى على المذبح ... ألم يقل المسيح له المجد « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه ... من يأكلنى فهو يحيا بى » (يوحنا ٦ : ٥٦ ، ٥٧) ... أيها الأخوة ؛ إن حياتنا تتجدد بنقل دم المسيح إليها !! من أجل هذا ، فإن الذين يحجمون عن التناول المقدس من الافخارستيا يحرمون أنفسهم من سر الحياة ألم

يقل رب المجد يسوع بصيغة التأكيد : « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه **فليس لكم حياة فيكم** » (يوحنا ٦ : ٥٣) ... إنه تجديد مستمر لطبيعتنا ، وعملية نقل دم مستمرة ، به نتشدد ونسترد صحتنا الروحية .

فى كل مرة نتناول الافخارستيا ، نحن بحاجة إلى التفكير والتأمل : دَمُ مَنْ هذا الذى نتناوله ؟ إنه دم المسيح ابن الله المعلن منذ تأسيس العالم ... أقول **إننا بحاجة إلى التفكير والتأمل لأن آفة الحياة الروحية هى الروتين .** والحذر لئلا يتحول هذا السر - سر الحياة - إلى مجرد ممارسة !! **أنا لا أتكلم عن هذا الأمر عقيدياً ، ولكن كخبرة روحية عاشها القديسون** وأشكر الله الذى أهلنا أن نتذوق نذراً يسيراً منها ... إن الألفاظ تعجز عن التعبير عن مدى السلام والفرح والقوة ، التى يشعر بها الإنسان فى كل مرة يتناول من هذا السر ... إننا به نواجه أعداءنا الروحيين « **هيأت قدامى مائدة تجاه مضايق** » (مزمور ٢٣ : ٥) ... وقد فسر آباء الكنيسة الروحيون هذه المائدة على انها مائدة الافخارستيا تجاه مضايقينا !!

الإنسان من عمق أعماقه **تُحس روحه بارتباطها بالله وتشتاق إلى الحياة معه ، بل إلى الاتحاد به ... نقول الاتحاد بالله وليس مجرد السير معه ... ومعنى الاتحاد اننا نصير واحداً معه ...** هذا هو ما عمله مخلصنا الصالح بتدبير الفداء العجيب ، الذى أكمله فى ملء الزمان من أجل خلاص كل العالم ... واكرر ثانية التعبير : **الاتحاد بالله وليس السير معه** هذا هو عمق المسيحية وسر سموها ... لقد صار الإله إنساناً « ابن

الإنسان) ، حتى يرفع الإنسان من سقطته ، **ليجعله شريكاً للطبيعة الإلهية** (رسالة بطرس الثانية ١ : ٤) ... هذا المعنى أورده القديس اغريغوريوس اللاهوتي فى قداسه : « **باركت طبيعتى فيك** » . وهو عين ما تقوله كنيستنا المقدسة فى تسبحة يوم الجمعة « الثيؤتوكية » : « **هو أخذ الذى لنا . وأعطانا الذى له . نسبحه ونمجده ونزيده علواً** » ...

ب ـ مشاعر الغربة فى القديسين :

قلنا إن الطريق إلى الله هو الطريق الذى يتمشى مع طبيعة الإنسان وتكوينه ... لذا إذا تتبعنا تاريخ الجنس البشرى منذ القديم ، نجد أن كل رجال الله القديسين أحسوا أنهم طالما يعيشون فى الجسد فهم متغربون عن الله ... « فإذن نحن واثقون كل حين وعالمون أننا **ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب** ... فنثق ونُسَر بالأولى **أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب** » (كورنثوس الثانية ٥ : ٦ ، ٨) ... لقد أحسّوا بغربتهم فى العالم . وجعلوا هدفهم الوصول إلى الله ... الله الذى كان يعيش معه أبونا الأول آدم وإن كانت المعصية قد باعدت بين الإنسان والله ، ولكن شكراً لله ، فقد تجسد ابن الله وصنع فداءً للعالم أجمع ، لكيما يعيد الإنسان إلى رتبته الأولى ، وإلى السماء موطنه الأصلى ... قال رب المجد يسوع « وأنا إن ارتفعت عن الأرض **أجذب إلىَّ الجميع** » (يوحنا ١٢ : ٣٢) ... ألم يقل المسيح له المجد « **أنا أمضى لأعد لكم مكاناً** . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ، آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ ، **حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً** » (يوحنا ١٤ : ٢ ، ٣) ... لقد

ظل الأبرار والقديسون منجذبين بأرواحهم وعقولهم إلى فوق ، حيث الرب ذاته . وظلوا يتطلعون فى شوق إلى مسكنهم العلوى الذى ذهب المسيح وأعده لهم .

الإحساس بالغربة فى العالم - فى أى موضع فيه - احساس عميق فى الإنسان ... إن لسان حال الأبرار فى كل الأجيال يهتف « هذا العالم ليس لنا » ...

يقول المرنم « **غربتى قد طالت علىَّ** » (مزمور ١٢٠) .

وقال **سمعان الشيخ** فى اشتياق حينما حمل الرب يسوع طفلاً على ذراعيه « **الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام .** لأن عينىَّ قد أبصرتا خلاصك » (لوقا ٢ : ٢٩ ، ٣٠) .

وقال **معلمنا بولس الرسول** بعد أن استعرض فى رسالته إلى العبرانيين أبرار العهد القديم « فى الإيمان مات هؤلاء اجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد ، من بعيد نظروها وصدقوها وحيوّها **وأقرّوا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض** » (العبرانيين ١١ : ١٣) .

ونستطيع أن نقرّب مشاعر الغربة حتى ما ندركها على حقيقتها ... فحينما يُعيّن إنسان من أحدى بلاد الوجه البحرى ، فى وظيفة حكومية فى صعيد مصر أو العكس ، يظل هذا الإنسان فى قلق دائم ، ولا يحاول الاستقرار فى البلد الذى عين فيه أو نقل إليه . ولا يتلاءم مع الوسط الجديد . و يظل فى مساعيه تارة بكتابة الإلتماسات ، وتارة بالمقابلات

وجلب الوساطات ... ولا يهدأ حتى يُنقل إلى بلده ... **فإذا كانت غربة الجسد على هذا النحو وبهذه الصعوبة والقسوة ، فكم تكون مشاعر القديسين والأبرار ، الذين عاشوا على الأرض بينما عقولهم وعواطفهم تهيم فى السماء ... هناك اتخذوا لهم مستقراً ، وتصادقوا مع شخصيات العالم العلوى من ملائكة وقديسين ، وجعلوا رجاءهم هناك ...** هذا ما يوضحه معلمنا بولس الرسول « نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح كل حين مصلين لأجلكم ، إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ومحبتكم لجميع القديسين ، **من أجل الرجاء الموضوع لكم فى السموات** » (كولوسى ١ : ٣- ٥) .

باختصار نقول إن هذا الإحساس بالغربة هو الدافع للإنسان فيما يعلنه من أشواق نحو الله يعبّر عنها بوسائل مختلفة ... وإلاَّ فما هو الذى يدفعه إلى مداومة الصلوات والتأملات ومناجاة الله ... وما هو الدافع للتقدمات التى نرفعها ، والشركة الحية بيننا وبين القديسين والملائكة وكل الخلائق السمائية الذين نتشفع بهم ... ولماذا نقيم تذكارات عن المنتقلين فى مناسبات مختلفة كالأربعين أو السنة أو أى وقت آخر... الدافع إلى كل ذلك أن أولاد الله يحنّون إلى عالمهم الحقيقى لأنهم ليسوا من هذا العالم .

ج - أولاد الله الحقيقيون ليسوا من العالم :

السيد المسيح يؤكد هذه الحقيقة تأكيداً قاطعاً - فى مناجاته لله الآب ، يشير إلى تلاميذه القديسين فيقول « لست أسأل أن تأخذهم من

العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير . **ليسوا من العالم كما أنى أنا لست من العالم** » (يوحنا ١٧ : ١٥ ، ١٦) ... ويقول فى موضع آخر موجهاً الحديث لتلاميذه : « **لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم مع العالم ،** بل أنا اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩) ... والمعنى واضح تماماً ... ولعل هذا يفسر لنا سر الكراهية والحقد التى يظهرها أولاد العالم - الذين هم أولاد إبليس - نحو أولاد الله ... وحينما نقول عن أولاد العالم أنهم أولاد ابليس ، لا تستغربوا هذا التعبير ، لأنه تعبير المسيح نفسه !! قال له المجد لليهود « أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالاً للناس من البدء » (يوحنا ٨ : ٤٤) ...

علينا أن نفكر ملّياً وبعمق فيما قاله المسيح له المجد « لستم من العالم . لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لست من العالم ، بل أنا أخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » فى كل مرة نجد العالم يبغضنا ويقف ضدنا ، لا يجب أن تأخذنا الدهشة ، كأن شيئاً غير متوقع قد أصابنا . يقول يوحنا الرسول للمؤمنين « لا تتعجبوا يا إخوتى إن كان العالم يبغضكم » (يوحنا الاولى ٣ : ١٣) ... السنا أولاد الله وتلاميذ الرب يسوع الذى قال « ليس التلميذ أفضل من معلمه ، ولا العبد أفضل من سيده » !! فلنتعز أيها الأخوة ، فهذا الذى نقوله من معالم الطريق إلى الله ... وسيظل الأمر على هذا النحو حتى ينقلنا الله إليه ، وهناك سيمسح الرب كل دمعة من دموع التعابى .

نعم إن أولاد الله ليسوا من العالم ... « لأن ليس لنا هنا مدينة

باقية ، ولكننا نطلب العتيدة » (عبرانيين ١٣ : ١٤) ... إن المسيحى الحقيق هو فى حالة سعى وركض دائمين نحو « المدينة التى لها الأساسات ، التى صانعها و بارئها الله » (عبرانيين ١٠ : ١١) .

ثانياً - كل رجال الله القديسين ساروا فى هذا الطريق :

لقد سار جميع الأبرار فى هذا الطريق ، الذى لم يكن سوى « الله نفسه » ... قال الرب يسوع لتلاميذه الأطهار « وتعلمون الطريق ... قال له توما : يا سيد ... كيف نقدر أن نعرف الطريق . قال له يسوع : **أنا هو الطريق ...** » (يوحنا ١٤ : ٤ - ٦) ... **نعرض لبعض الأمثلة :**

+ **أخنوخ البار** - ذكره الكتاب المقدس - العهد القديم - فى عددين فقط ، يقول : « **وسار اخنوخ مع الله** . ولم يوجد لأن الله أخذه » (تكوين ٥ : ٢٤) ... وأشار إليه القديس بولس بقوله « بالإيمان نُقل أخنوخ لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله . إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله » (عبرانيين ١١ : ٥) ... وسنعود إلى موضوع السير مع الله فيما بعد .

+ بعد ذلك بدأ الفساد يعرف طريقه إلى البشر ، حتى إذا ما وصلنا إلى عصر الطوفان ، نجد الكتاب المقدس يقول « ورأى الله الأرض فإذا هى قد فسدت . **إذ كان كل بشر قد أَفْسَدَ طريقه إلى الله** » (تكوين ٦ : ١٢) ... ولا شك أن هذه الصورة السيئة القاتمة هى عن الأشرار ، أما الأبرار فصورتهم مشرقة ...

+ تمسّك الأبرار بطريق الله وعبّروا عن ذلك إليه ، **وطلبوا معونته** للسير فيه ... قال أيوب البار « بخطواته استمسكت رجلى . **حفظت** طريقه ولم أَحِدْ » (أيوب ٢٣ : ١١) .

+ أما داود النبى والملك فيعبّر عن ذلك بأساليب متنوعة يقول :

● « انتظر الرب **وأحفظ طريقه** » (مزمور ٣٧ : ٣٤) .

● « يارب أهدنى إلى برّك بسبب أعدائى ، **سهّل قدامى طريقك** » (مزمور ٥ : ٨) . نفس المعنى يعبر عنه القديس اغريغوريوس فى القداس المنسوب إليه « **سهل لنا طريق التقوى** » .

● « **علمنى يارب طريقك ، وأهدنى فى سبيل مستقيم بسبب أعدائى** » (مزمور ٢٧ : ١١) .

● « **علمنى يارب الطريق التى أسلك فيها** » (مزمور ٨٥ : ١١) .

● « **عرفنى يارب الطريق التى أسلك فيها** ، لأنى إليك رفعت نفسى » (مزمور ١٤٣) .

● وفى فاتحة المزمور الكبير الذى رتبته الكنيسة فى الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل ، يقول داود : « **طوباهم الذين بلا عيب فى الطريق** » (مزمور ١١٩ : ١) . إن الروح القدس بفم داود **يطوّب** الذين بلا عيب فى طريق الله .

وكصدى لأشواق داود النبى وأمثاله من أبرار العهد القديم ، أن يعلن لهم الرب الطريق ويعرفهم إياه ، فإن الرب نفسه يجيب على لسان داود ويقول : « **اعلمك وارشدك الطريق التى تسلكها انصحك عينى عليك** » (مزمور ٣٢ : ٨) ... فمادام الإنسان وضع طريق الله نصب عينيه فإن الله لن يتخلى عنه ، بل يعلمه ويرشده .

ولكى لا يتوه البشر ويضلون بين طرق متنوعة وكثيرة فى العالم ، **حَسَم السيد المسيح الأمر ، وأعلن أنه لا يوجد سوى طريقان ، أحدهما يؤدى إلى الله والآخر يؤدى إلى الهلاك** ... ادخلوا من الباب الضيق . لأنه واسع الباب ورحب **الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك ،** وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب واكرب **الطريق الذى يؤدى إلى الحياة ،** وقليلون هم الذين يجدونه » (متى ٧ : ١٣ ، ١٤) ... وهكذا نرى أنه لا يوجد سوى طريقان ، لا ثالث متوسط بينهما ... هذا الطريق المتوسط يحاول الناس اختراعه . لكن ذلك فى مخيلتهم وتصورهم وحدهم . أما بالنسبة لله ، فلا يوجد سوى طريق واحد ... لا بد لنا أن نعرف هذا الأمر جيداً ولا بد أن تعرف يا أخى فى أى طريق تسير . هل هو طريق الله ، أم طريق العالم ؟!!

ثالثاً ـ لأن طريق العالم يسلبنى سلامى وفرحى :

لكن لماذا طريق الله بالذات ... **ألا يمكن أن يكون طريق العالم أفضل وأيسر ؟!!** وفى اجابتنا على ذلك ، نحن لا نحتكم فقط إلى كتاب

الله المقدس ، وأقوال القديسين ، بل نحتكم إلى أنفسنا لنرى **إن كانت هناك اية مميزات لطريق العالم ، الذى هو طريق الشر والمتعة الذاتية الوقتية ...**

أ - إنه يورث الإنسان القلق ويفقده سلامه القلبى .الإنسان السائر فى هذا الطريق فى قلق دائم ، يفتقد سلاماً فلا يجد ... إن أكبر عطية أعطاها السيد المسيح لمن يؤمن به ويحيا فى طاعته ، هى السلام الداخلى « سلاماً أترك لكم . سلامى أعطيكم . ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يوحنا ١٤ : ٢٧) ... وكلمة « **أترك لكم** » ، تعنى تركة أو ميراث ، على نحو ما يترك إنسان ثرى لأولاده ميراثاً كبيراً يتمتعون به من بعده ... **إذن فالتركة التى تركها لنا المسيح له المجد هى السلام** ... ويحاول القديس بولس الرسول وصف سلام الله فيعجز ، وكل ما أستطاع أن يقوله عنه إنه « **يفوق كل عقل** » (فيلبى ٤ : ٧) . ولحاجة البشر لهذا السلام ، افتتح الرسل رسائلهم واختتموها بالسلام « ورب السلام نفسه يعطيكم السلام دائماً من كل وجه » (تسالونيكى الثانية ٣ : ١٦) ... « سلام لكم جميعاً الذين فى المسيح يسوع » (بطرس الأولى ٥ : ١٤) .

ما أكثر من نعرفهم ممن توفرت لهم كل مسببات السعادة بمفهوم أهل العالم ، ومع ذلك لا ينعمون بالسلام ، بل على العكس من ذلك تماماً ، تمتلىء حياتهم غماً ونكداً وهماً !! إن نسبة الانتحار فى بلاد الغرب المتحضر مروعة . ومرضى الأمراض النفسية والعصبية هناك تفوق اعدادهم مرضى الأمراض العضوية ، على الرغم من توفر كل سبل

الحضارة والراحة !! أما السبب فى ذلك فيرجع إلى أن حياتهم ليس فيها سلام ... ولماذا ؟! السبب الحقيقى هو بعدهم عن طريق الله ... **مع المسيح يأتى السلام ، وبعيداً عنه لن يوجد سلام** لأنه هو إله السلام ، وملك السلام ، ورئيس السلام ... هذه الحقيقة التى أعلنتها ملائكة السماء وقت مولده بالجسد : « **وعلى الأرض السلام** » (لوقا ٢ : ١٣) ... إن الإنسان الذى يباعد بينه وبين المسيح ، أو ينكر المسيح لأى سبب من الأسباب يفقد أكبر عطية إلهية وهى السلام ... لذا فلا عجب أن نرى كثيرين ممن أنكروا المسيح رباً ومخلصاً يعودون بمحض إرادتهم ، بعد أن يكونوا قد ذاقوا المرارة وفقدوا السلام ... إنهم يعودون رغم علمهم بالمصاعب التى تكتنف عودتهم !! **ما أصعب وما أمر فقدان السلام !!**

يقول الوحى الإلهى بلسان إشعياء النبى « **أما الأشرار فكالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ . وتقذف مياهه حمأة وطيناً . ليس سلام قال إلهى للأشرار** » (إشعياء ٥٧ : ٢٠ ، ٢١) ... لنتأمل عبارة « **لا يستطيع أن يهدأ** » . حتى لو أراد فإنه لا يستطيع .

● أما **داود النبى والملك** فيتميز بأن له خبرة شخصية فى موضوع الخطية ونتائجها ، بعد أن هوى من قمة القداسة وسموها نتيجة خطية الزنا التى سقط فيها . **فماذا قال داود ؟**

« **ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى** » (مزمور ٣٨ : ٣) ... ونلاحظ التعبير العجيب « ليست فى عظامى سلامة » ... والمعنى أن فقدان السلام تغلغل فى أعماق أعماقه حتى وكأنه بلغ عظامه !! وفى

مزمور آخر يقول : « **عظامى قد أضطربت . ونفسى قد انزعجت جداً** » (مزمور ٦ : ٢ ، ٣) .

والشرير لا ينازعه آحد ، أنما هو الذى ينازع نفسه ... بمعنى أن الشرير يفقد سلامه - ليس لسبب خارجى عنه - بل أن السبب فى أعماقه ... لذا فقد قال السيد المسيح له المجد فى عظته على الجبل « كن مراضياً لخصمك سريعاً مادمت معه فى الطريق . لئلا يُسلمك الخصم إلى القاضى ، ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن . الحق أقول لك ، لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير » (متى ٥ : ٢٥ ، ٢٦) ... وقد أجمع معظم آباء الكنيسة ومعلميها على أن هذا الخصم الذى أمرنا المسيح بمراضاته هو الضمير . والمقصود بالطريق حياة الإنسان فى الجسد والعالم .

والإنسان الذى عاش مع المسيح ، واختبر حياة الشركة معه ، يعرف جيداً أنه ما لم يندم على الخطية التى عملها ، ويذهب أمام الكنيسة ويقر ويعترف بها أمام الأب الكاهن ، فإنه لن يجد راحة وسلاماً ... وقد لازمت ظاهرة فقدان الراحة والسلام الداخلى الإنسان منذ البداية . **ولنا فى قصة قايين أبلغ واوضح دليل على ذلك** ... فبعد أن قتل أخاه هابيل ، وكشف الله له الأمر بعد أن حاول هو إنكاره ، قال لله « من وجهك اختفى ، وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض . فيكون كل من وجدنى يقتلنى » ... بعد ذلك يقول الكتاب المقدس « وجعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده » (تكوين ٤ : ١٤ ، ١٥) ... ولا شك أن تلك العلامة التى تنجيه من القتل ، كانت سبباً فى عذابه وآلامه النفسية أكثر !! هذه صورة محزنة وأليمة لما يمكن أن تحدثه الخطية . كان العالم فى

ذلك الوقت بلا تعقيدات ، رحباً متسعاً ولكن لأن الخطية ملكت على الإنسان ، فقد صار العالم له جحيماً .

لا توجد مصيبة تحل بالإنسان أكثر من الخطية فى آثارها ونتائجها ... فلقد فقد أيوب كل أبنائه وثروته وممتلكاته ، لكن ذلك لم يستطع أن ينزع سلامه بل كان يردد : « عرياناً خرجت من بطن أمى ، وعرياناً أعود إلى هناك . الرب أعطى والرب أخذ ، فليكن إسم الرب مباركاً » (أيوب ١ : ٢١) **... ولنا أن نقارن هذا بموقف داود بعد خطيته ، حينما كان يعوّم كل ليلة فراشه بدموعه (مزمور ٦ : ٦) . ويقول : « خطيتى أمامى فى كل حين » (مز ٥١ : ٣) .**

ب - يورث الإنسان الحزن والكآبة :

يتحدث القديس بولس الرسول عن الفرح كثمرة شهية من ثمار الروح القدس : « أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ... » (غلاطية ٥ : ٢٢) **... ومن المستحيل أن روح الله يثمر فى الإنسان ثمرة الفرح الروحى ، ويكون ذلك الإنسان عائشاً فى الخطية ، متلذذاً بها ...** ولعل هذا الكلام يتضح من تأملنا فى المزمور ١٣٧ وهو من مزامير السَبْى الذى رتبته كنيستنا ضمن مزامير صلاة النوم فى الأجبية ... يقول المرنم :

« على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف فى وسطها علقنا قيثاراتنا . هناك سألنا الذين سَبَوْنا نشيداً . والذين استاقونا إلى هناك ، قالوا سبحوا لنا تسبحة من تسابيح صهيون .

كيف نسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة » (مزمور ١٣٧ : ١ - ٤) .

تعالوا بنا نتأمل هذا المنظر :

اناس جالسون على ضفاف نهر ، وقد توفرت لهم كل مسببات البهجة والسرور . أمامهم الماء والخضرة ... جلسوا على شاطىء النهر ، تتدلى فوقهم أغصان أشجار الصفصاف الجميلة ، ومعهم قيثاراتهم الموسيقية التى تصدر عنها الأنغام الشجية ... لكنهم رغم كل ذلك كانوا فى كآبة وحزن ... لقد أبوا التسبيح حين طُلب منهم ، وعلقوا قيثاراتهم على أشجار الصفصاف ، ورفضوا أن يعزفوا عليها ... ما السبب ؟ هناك المثل الذى يقال عن ثلاثة أشياء تُدخل البهجة إلى النفس : الماء والخضرة والوجه الحسن ... ولقد توفر لهؤلاء اليهود المسبيين فى بابل الماء والخضرة . **لكن لم يتوفر لهم الوجه الحسن ، الذى هو ليس شيئاً آخر سوى وجه الله !!** ولذا فقد هرب الفرح من نفوسهم ، وباتوا فى كآبة ووحشة . قال داود : « **صرفت وجهك عنى فصرت قلقاً** » (مزمور ٣٠ : ٧) ... « بنورك يارب نعاين النور » (مزمور ٣٦ : ٩) ... « **كيف نسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة ؟!** » .

إن كلمات هذا المزمور هى لسان حال الإنسان المسبى فى الخطية وبالخطية . حتى لو بدا فى الخارج فرحاً ومرحاً ، لكن فى أعماقه مرارة وكآبة وقلق !! ... « كيف اسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة » ... **إذن أين تريد أن تسبح ؟** ... أسبح الرب فى أورشليم ... وكلمة أورشليم معناها مدينة السلام ... وبحسب الفهم اليهودى فى ذلك الوقت عن أورشليم أنها تعنى الهيكل بيت الله حيث يسكن ... **ومتى تريد أن تسبح ؟** اسبح

حينما يرد الرب سبينا ... قال المرنم « إذا ما ردَّ الرب سبي صهيون صرنا مثل المتغربين . حينئذ امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً » (مزمور ١٢٦ : ١ ، ٢) ... يصف بطرس الرسول الفرح الحقيق قائلاً : « تبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد » ... أما السبب فى هذا الفرح العجيب فيستطرد الرسول قائلاً « نائلين غاية إيمانكم خلاص أنفسكم » (بطرس الأولى ١ : ٨ ، ٩) . والفرح الذى لا ينطق به ، أى لا يعبّر عنه ، هو فرح داخلى ، وسببه خلاص النفس .

جـ - يصل بالإنسان إلى اليأس وقطع الرجاء :

طريق الخطية يجلب العار والخوف ، وقد يصل بالنفس إلى اليأس فى نهاية المطاف ، وذلك على مستوى الأفراد والشعوب والجماعات... « فالبر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية » (أمثال ٤ : ٣٤) ... الإنسان الذى هو أسير لخطية معينة أو شهوة خاصة ، هو إنسان لا يملك القوة والشجاعة أن يظهر فى النور .

وفضلاً عن ذلك **فإن حياة البعد عن الله قد تجلب الأمراض .** ولعلنا نذكر **مريض بيت حسدا** الذى طالت به العلة وامتدت إلى ثمان وثلاثين سنة . بعدها جاءه المسيح وشفاه وقال له « ها أنت قد برئت . فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يوحنا ٥ : ١٤) . وواضح هنا من كلام المسيح كيف يربط بين المرض والخطية . بين مرض الجسد ومرض الروح . والسيد المسيح قد جاء طبيباً لكليهما .

ولا أود أن أستطرد طويلاً فى هذه النقطة . **يكفى أن أشير إلى أن حياة البعد عن الله ، والإنغماس فى الدنس والشهوات العالمية ،**

تجلب غضب الله ... « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم الذين يحجزون الحق بالاثم » (رومية ١ : ١٨) . **فبسبب الخطية لعن الله الأرض ، وأهلك العالم القديم بطوفان ، وأحرق مدينتى سدوم وعمورة ، وضرب من بنى إسرائيل فى يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً بعد أن زنوا مع بنات موآب (كورنثوس الأولى ١٠ : ٨)...**

كان موضوع هذا المساء هو ، لماذا الطريق إلى الله ؟ والآن نسأل سؤالاً : ما هو الطريق ؟ قال الرب يسوع لتلاميذه « **وتعرفون الطريق ...** قال له توما يا سيد كيف نقدر أن نعرف الطريق . **قال له يسوع أنا هو الطريق** » (يوحنا ١٤ : ٤ - ٦) .

فإن كنا نتكلم عن الطريق إلى الله . فالطريق ليس شيئاً آخر سوى الرب يسوع ذاته : الوسيط الوحيد بين الله والناس (تيموثاوس الأولى ٢ : ٥) . ولا يقدر أحد أن يأتى إلى الآب إلاَّ به (يوحنا ١٤ : ٦) ... قال الرب يسوع عن ذاته : « أنا هو الباب » (يوحنا ١٠ : ٩) . وقال أيضاً الذى لا يدخل من الباب « بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص » (يوحنا ١٠ : ١) .

فليباركنا الله بكل بركة روحية فى المسيح يسوع ويختم على هذه الكلمة بالبركة آمين .

الإعداد لرحلة الطريق

- الرغبة والقصد والنية .

مثال ـ الإعداد لرحلة خروج بنى إسرائيل من مصر .

مثال ـ تلميذا يوحنا المعمدان ـ والأعميان .

- وضــوح الهــدف .

- الإيمـــــــان .

الشعور بوجود الله .

الثقـــة فى الله .

الإعداد لرحلة الطريق

بعد أن ناقشنا موضوع « لماذا الطريق إلى الله » ، وأثبتنا لزوم هذا الطريق للإنسان ، لأنه هو الوحيد الذى يتلاءم معه ، فضلاً عن كل البركات التى فيه ، **نتقدم اليوم ونبدأ فى دراسة كل ما يتعلق برحلة هذا الطريق ... ويأتى بطبيعة الحال ، فى مقدمة هذه الدراسة ، الإعداد لرحلة الطريق .**

ولعله من الواضح أن عنوان الموضوع يوضح أمراً هاماً ، **وهو أن الطريق عبارة عن رحلة . وكلمة رحلة تفيد أمرين أساسين :**

الأمر الأول إن مفهوم كلمة رحلة يرتبط دائماً بالغربة ، لأن الإنسان يقوم برحلة إلى مكان بعيد عن موطنه وموضع إستقراره ...

الأمر الثانى إن كلمة رحلة تطلق على سفر يستغرق وقتاً قصيراً .

والحق يا أحبائى أننا جميعاً فى رحلة ... جميعنا نرتحل أردنا أو لم نُرد . ادركنا ذلك أو لم ندركه . أعددنا أنفسنا لذلك أو لم نعدها ... وطوبى للإنسان الذى يُعد ذاته لهذه الرحلة ، ويقدر للأمور قدرها وعواقبها . ويتحكم بالحكمة الإلهية ، لكى يعرف كيف يقطع هذه الرحلة بنجاح ، حتى ما يعود إلى وطنه الأصلى سالماً .

إن اية رحلة تحتاج إلى استعداد ، حتى ولو كانت رحلة يوم واحد . لا بد من الاعداد للطعام والشراب وبقية ما يلزم . وإذا كانت الرحلة

ستطول إلى أيام وأسابيع أو أكثر ، فلا بد وأن الإنسان يفكر فى الملابس ، وما يحتاجه من مال لنفقات هذه الرحلة ... وهكذا نرى أن أية رحلة لا بد لها من أعداد . وبقدر ما يكون الاعداد سليماً ومحكماً ، بقدر ما يستريح الإنسان فى هذه الرحلة ، وتصبح متعة له ... **فما هى الاستعدادات التى تلزم الإنسان لرحلة الطريق إلى الله ؟**

أولاً - الرغبة والقصد والنية :

أحسّ كما أدرك أن **أول ما ينبغى أن يتوفر لمن يريد القيام برحلة الطريق إلى الله ، الرغبة والقصد والنية** . إذ لا يمكن لأحد أن يقوم بمشروع كبير أو بأى عمل ذى أهمية ، ما لم تتوفر له نية عمل هذا الشىء ... وليست الأمور الضخمة هى وحدها التى تحتاج إلى ذلك ، بل حتى أبسط الأمور التى يعملها الإنسان لا بد وأن يكون وراءها رغبة وقصد ... فمثلاً إذا نهضت من مقعدى متجهاً هذا الاتجاه أو ذاك ، فلا بد وأنى أقصد شيئاً ما . وإلاَّ إذا كنت لا أقصد شيئاً محدداً ، فإن الأمر يصبح هراءً ، ويبتعد عن جادة الصواب ويفتقر إلى الاتزان ... وهذا ولا شك يتمشى مع طبيعة الإنسان الذى خلقه الله حراً مريداً ، له أن يعمل أو لا يعمل ... **نقدم بعض أمثلة من الكتاب المقدس من عهديه القديم والجديد ...**

مثال شعب الله قديماً :

مثال العهد القديم هو هن رحلة شعب الله (بنى إسرائيل) من مصر إلى كنعان أى بلاد فلسطين ... **نتكلم أولاً عن مدلول هذه الرحلة**

العظيمة عقيدياً وروحياً ، ثم نتكلم بعدها عن كيفية اعداد الله بنفسه لهذه لرحلة ... وأود الإشارة هنا إلى أن **ارتحال شعب إسرائيل من مصر إلى كنعان ، إنما يمثل الجنس البشرى كله ، وما ينبغى عليه أن يتبعه** ... والموضوع فى غاية الأهمية ، كما أن الرموز فى غاية الوضوح .

ظل بنو إسرائيل فى مصر لمدة نحو أربعمائة سنة ، قضوا معظمها فى عبودية ... **وفرعون فى هذه القصة رمز للشيطان ، بينما عبودية بنى إسرائيل ترمز إلى عبودية الجنس البشرى كله لإبليس ... كيف تحرروا ؟** كلنا يعرف قصة موسى النبى وقصة الضربات العشر . كان فرعون عقب بعض الضربات التسعة الأولى يستدعى موسى وهارون ، و يصرّح لهما بالخروج مع الشعب من مصر . لكنه سرعان ما كان يعود ويحنث فى كلامه ... ولم يستطع بنو إسرائيل الخروج من مصر إلاَّ بعد الضربة العاشرة والأخيرة ، وهى ضربة الأبكار . إن ضربة الأبكار ترتبط بخروف الفصح وذبحه ، وتلطيخ القائمتين والعتبة العليا لكل بيت من بيوت بنى إسرائيل بالدم ... حتى إذا ما مرَّ الملاك المهلك يرى الدم و يعبر . وهذا ما تعنية كلمة بصخة .

إن الضربات التسعة تمثل جهد الإنسان فى أن يحرر ذاته و يعتقها من العبودية . لكن كل ذلك لم يأتِ بنتيجة على الإطلاق . لكن الذى حرّر الشعب هو دم خروف الفصح ، الذى يرمز إلى فصح العهد الجديد ربنا يسوع المسيح « لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبحَ لأجلنا » (كورنثوس الأولى ٥ : ٧) ... والموضوع لم يكن **موضوع** إسرائيلى أو غير إسرائيلى . لكن الموضوع كان **موضوع الدم المسفوك ،**

والملطخ به باب البيت الخارجى . ولو فرض أن واحداً من بنى إسرائيل لم يذبح الخروف أو يضع علامة الدم على الباب الخارجى ، اعتماداً على أنه من ذرية إبراهيم ، لدخل الملاك المهلك وقتل بكر ذلك البيت ... **كان الموضوع إذن هو موضوع الدم والاحتماء به ... والاحتماء بالدم إنما يشير إلى فاعلية دم ربنا يسوع المسيح المخلص ، الذى به افتدانا وخلصنا ، وخلص العالم كله من لعنة الخطية ... وماذا بعد هذا ؟**

عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر ، الذى كان رمزاً للمعمودية المقدسة ... « فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة . وجميعهم اجتازوا فى البحر . **وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة والبحر** » (كورنثوس الأولى ١٠ : ١ ، ٢) ... وواضح من الرمز أن أول بركة من بركات الإيمان بقوة الدم المخلص ، هو الاستحقاق لاقتبال نعمة المعمودية المقدسة ... والسحابة التى يشير إليها بولس الرسول فى الآية السابقة ، إنما ترمز إلى عمل الروح القدس الذى يقدّس مياه المعمودية .

بعد ذلك دخلوا البرية القاحلة ، وظلوا فيها تائهين - بتدبير الله مدة أربعين سنة . وكان الله يعولهم خلال هذه السنوات كلها بالمنّ الذى كان ينزله لهم من السماء . وحينما عطشوا فجرّ لهم ماءً حلوة من صخرة . **إن كلاً من المن والصخرة يرمز إلى شخص المسيح ...** وهذا التفسير ليس من ذواتنا ، بل من المسيح نفسه الذى قال لليهود : « أنا هو خبز الحياة . **آباؤكم أكلوا المنّ فى البرية وماتوا ... أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء . إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد** » (يوحنا

٦ : ٤٨ - ٥١) ... أما عن الصخرة كرمز للمسيح ، فيقول بولس الرسول عن الشعب قديماً فى البرية : « **لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم . والصخرة كانت المسيح** » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٤) .

ويظل بنو إسرائيل فى رحلتهم وارتحالهم هكذا حتى يدخلوا أرض كنعان وأورشليم التى ترمز إلى أورشليم السمائية ... هذه هى رحلة شعب الله قديماً بعد أن تحرروا من عبودية فرعون حتى وصلوا إلى أورشليم . **وهى فى نفس الوقت رمز واضح لرحلة الجنس البشرى من وقت تحررهم من عبودية فرعون الروحى (إبليس) بقوة دم المخلص يسوع المسيح ربنا ، حتى يبلغوا السماء ...**

لقد احتاجت رحلة بنى إسرائيل إلى اعداد طويل . والذى أعدّ هذه الرحلة هو الله نفسه . فالشعب كان مستعبداً ومستسلماً وفى مرحلة الفطرة ، ولم يُعدّ لشىء ... **والله من تحننه هو الذى أعدّ كل شىء ... أعد لرحلة خروج الشعب من العبودية ، من أرض مصر ... فماذا فعل الله ؟**

قلنا إنه لا بد من توافر النية والقصد والإرادة . وقلنا أيضاً أن الله هو الذى أعدَّ لهذه الرحلة . **فكيف نوّفق بين القولين : القول بأن الله هو الذى أعدّ لرحلة الخروج من مصر، وأن النية توفرت لدى بنى إسرائيل !!**

حقيقة أن بنى إسرائيل فى مصر كانوا فى مرحلة الطفولة الروحية والاستسلام للعبودية وحقيقة كان الله يريد أن يخلصهم من عبوديتهم

وبمررهم ... لكنه لا يتناقض مع ذاته من جهة القوانين التى رسمها بخصوص حرية إرادة الإنسان ... لكن لنرى كيف سارت الأمور .

نعود لأكثر من أربعمائة سنة إلى الوراء ، نعود إلى قصة يوسف وبيع إخوته له إلى قافلة الاسماعيليين الذين كانوا متجهين إلى مصر ... والأحداث التى تمت بتدبير الله ... كيف خرج يوسف من السجن ليصير مدبراً لأرض مصر . وكيف حدثت المجاعة مدة سبع سنين فى مصر وكل الأقاليم المحيطة بها . وكيف اضطر إخوة يوسف للنزول إلى مصر ليشتروا قمحاً ، وكيف تم التعرف . عليه . وكيف جاءوا جميعاً مع أبيهم يعقوب إسرائيل واستقروا فى مصر ... حدث بعد ذلك أن « **مات يوسف وكل اخوته وجميع ذلك الجيل** . وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا كثيراً جداً ... **ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ... فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية** فى الطين واللبن ، وفى كل عمل الحقل . كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً » (الخروج ١ : ٦ - ١٤) .

ثم نأتى بعد ذلك إلى قصة ولادة موسى وافلاته من الموت ، وتربيته فى قصر فرعون بعد أن تبنته إبنته ... ثم حادث قتله للمصرى وهربه إلى أرض مديان ... وبعدها يقول « **تنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا ، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية . فسمع الله انينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب** . ونظر الله بنى إسرائيل » (الخروج ٢ : ٢٣ - ٢٥) ... وهكذا نرى أن الله سمح أن المصريين يضغطوا على بنى إسرائيل ويثقلوا عليهم حتى ما يزداد تضايقهم

فيصرخوا إلى الله ... المهم أن الله سوف يتحرك ، و يبدأ فى تنفيذ خطة إخراجهم من مصر بعد أن يصرخوا إليه ...

هذه قضية يحدث بشأنها كثير من الخلط من بعض الناس ... إنسان يقول : ألا يستطيع الله أن يتوّبنى ؟! والإجابة على ذلك أن الله بكل تأكيد قادر ، إذ هو قادر على كل شيء . لكن الله لن يتناقض مع ذاته ، ومع الأسلوب الذى خلق به الإنسان من جهة حر ية إرادته ... **وما أجمل العبارة التى قالها القديس والفيلسوف أغسطينوس [الله الذى خلقك بدونك . لن يُخلصك بدونك]** ... والمعنى أن الله خلقك دون أن يكون لك دخل فى خلقتك أنت . لكن هذا الإله الذى خلقك دون أن يكون لك دخل فى الأمر ، حينما ير يد أن يخلصك ، لا بد أن تشترك أنت مع الله فى أمر خلاصك ـ والإشتراك هنا بواسطة إرادتك . أى إنك تكون مر يداً لخلاصك .

ثم نأتى بعد ذلك إلى قصة ظهور الله لموسى من خلال عليقة فى جبل حور يب بسيناء . و يكلم الله موسى من العليقة هكذا « **إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر ، وسمعت صراخهم من أجل مُسَخّريهم . إنى علمت أوجاعهم ، فنزلت لأنقذهم من أيدى المصر يين ، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة ... والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد أتى إلىّ . ورأيت أيضاً الضيقة التى يضايقهم بها المصر يون . فالآن هلمّ فأرسلك إلى فرعون ، وتُخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر** » (الخروج ٣ : ٧ـ ١٠) .

كانت خطة الله أنه من كثرة ضغط المصريين على شعبه أن يشعروا بالاحتياج ، وتتوفر لديهم الرغبة والنية والقصد للتحرّر من العبودية ... وامعاناً فى ذلك ، فإن الله قبل أن يرسل موسى ليقود الشعب فى مسيرته قال له « عندما تذهب لترجع إلى مصر ، أنظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها قدام فرعون . **ولكنى أشدّد قلبه حتى لا يطلق الشعب** » (الخروج ٤ : ٢١) ... وفى أكثر من مناسبة فى أحداث تلك الحقبة . المدونة فى سفر الخروج تقابلنا عبارة « ولكنى أقسىّ قلب فرعون » أو « ولكن شدّد الرب قلب فرعون » ... وأمثال هذه العبارات تثير تساؤلات لاهوتية وعقيدية . لكن الأمر ببساطة أن الله قصد إلى أنه من كثرة ضغط فرعون على الشعب تتوفر لديهم النية والقصد والرغبة الكاملة أن يتحرروا .

وكان نتيجة كلام موسى وهارون مع فرعون أن يطلق الشعب ليعبدوا إلهم فى البرية ، أن أمر بالتثقيل عليهم ... هكذا كان الله يهيء قلوب بنى إسرائيل واذهانهم بمثل هذه الضيقات ، حتى ما تتوفر لديهم الرغبة الصادقة فى التحرّر... وطريق الله هو طريق التحرّر من كل أنواع العبودية الروحية ، عبودية الخطية وعبودية إبليس . إنه يحتاج بالدرجة الأولى إلى توفرّ الرغبة والإرادة والقصد والنية للحياة معه .

هنا نتذكر كلام السيد المسيح له المجد حينما بكى على أورشليم قائلاً : « يا أورشليم يا أورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . **كم مرة اردت أن أجمع أولادَكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا** . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً . الحق أقول لكم

إنكم لا تروننى حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب » (متى ٢٣ : ٣٧- ٣٩) ... « كم مرة أردت وأنتم لم تريدوا » - **وعلى الرغم من أن الله أراد ، فلكونهم لم يريدوا ، فقد تركهم الله لينفذوا إرادتهم .** لكن النتيجة كانت مروّعة « هوذا بيتكم (الهيكل) يترك لكم خراباً » .

كانت خطة الله منذ البداية أن تتواجد لدى الشعب الرغبة فى التحرر . وما كان يمكن أن تتوفر هذه الرغبة إلاَّ نتيجة الإحساس بالضغوط الكثيرة عليهم ... إن الله يسمح أن يثقل على أولاده من أجل خيرهم ، على نحو ما يقول المرنم : « يدك ثقلت علىَّ » (مزمور ٣٢ : ٤) ... لكن الله فى حنوه ومحبته وعدله لا يسمح بأن يجرب الإنسان فوق احتماله وأكثر من طاقته .

مثال من العهد الجديد :

يوحنا الإنجيلى يروى لنا فى فاتحة إنجيله **قصة لقاء إثنين من تلاميذ يوحنا المعمدان مع الرب يسوع واتباعهما إياه ...** « كان يوحنا (المعمدان) واقفاً هو واثنان من تلاميذه ، فنظر إلى يسوع ماشياً ، فقال هوذا حمل الله : فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع . **فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان ، فقال لهما ماذا تطلبان .** فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث . فقال لهما تعاليا وانظرا » (يوحنا ١ : ٣٥- ٣٩) ... وواضح أن الرب يسوع أول ما التفت إليهما وجه سؤالاً عما يطلبان ... **وهذا هو عين السؤال الذى يوجهه الرب لكل واحد منا حتى الآن . إن كل من يراه سائراً وراءه يسأله ماذا تريد .** ما هو قصدك من السير

ورائى واتباعى . إن كثيرين ممن ساروا وراء الرب يسوع ، لم يكن اتباعه لأجل ذاته هو... « فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هناك ولا تلاميذه ، دخلوا هم أيضاً السفن . **وجاءوا إلى كفر ناحوم يطلبون يسوع .** ولما وجدوه فى عبر البحر ، قالوا له : **يا معلم متى صرت هنا . أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم ، أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم** » (يوحنا ٦ : ٢٤ - ٢٦)... إن السؤال الذى يوجهه الرب لكل من يتبعه عما يريده ، إنما يكشف النية والقصد والهدف ... إن المسيح له المجد يريد ممن يسير خلفه و يتبعه ، أن يكون اتباعه له من أجل ذاته ، وليس لأجل أى شىء آخر عالمى . وهكذا كشفت إجابته لليهود فى كفر ناحوم ، أنهم ما كان يطلبونه لأجل ذاته ...

إن الرب يسوع لا يفرح بكثرة من يتبعونه ، بقدر ما يُسَرّ بالنية والقصد ... و يسجل لنا الإنجيل المقدس أن بعض الناس تقدموا إلى الرب يسوع طالبين إتباعه ، لكنه ردهم لأنه - وهو فاحص القلوب - علم أنه لم تكن لهم نية خالصة لاتباعه ، بل لعلهم أرادوا من وراء ذلك مجداً عالمياً أو شهرة باطلة ... « وفيما هم سائرون فى الطريق **قال له واحد يا سيد اتبعك اينما تمضى .** فقال له يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار . وأما إبن الإنسان فليس له أين يسند رأسه ... **وقال آخر أيضاً اتبعك يا سيد ، ولكن ائذن لى أولاً أن اودع الذين فى بيتى . فقال له يسوع ليس أحد يضع يده على المحراث و ينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله** » (لوقا ٩ : ٥٧ - ٦٢) ... إن الرب لا يرفض أحداً يريده لذاته .

لا بد وأن الذى يريد إتباع الرب ، والسير فى الطريق إليه أن يطلبه من كل القلب ، وأن يريده لشخصه لا لشىء آخر ... وما أكثر الآيات والمواقف التى تقابلنا فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، والتى تكشف لنا عن لزوم هذا الأمر ...

يقول داود النبى « **من كل قلبي طلبتك** فلا تبعدنى عن وصاياك » (مزمور ١١٩ : ١٠) ... « **يعطيك الرب حسب قلبك** ويتمم كل مشورتك » (مزمور ٢٠ : ٤) ... ويقول الرب بلسان أرميا النبى « تطلبوننى فتجدوننى **إذ تطلبوننى بكل قلبكم** » (أرميا ٢٩ : ١٣) .

وفى قصة المرأة الكنعانية الأممية (الوثنية) نرى الرب يسوع يتعامل معها بطريقة تبدو صعبة وجافة ... قال لها « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين يطرح للكلاب » . لكنها فى إنسحاق قالت له « نعم يا سيد ، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة اربابها » ... كلام صعب . ولكن المسيح كان يقصد إلى أن يكشف عن إيمان هذه المرأة الوثنية أمام اليهود الذين يفتخرون بأنهم ذرية إبراهيم ، وحتى ما يغيرون غيرة مقدسة ، ويخجلون من إيمانها ... وما أن بات واضحاً صلابة إيمانها وإنسحاقها ، قال لها كلمة فيها كل شىء ، وفيها شهادة صدق لعظمة إيمانها ... « **يا إمرأة عظيم إيمانكِ . ليكن لكِ كما تريدين . فشفيت إبنتها من تلك الساعة** » (متى ١٥ : ٢١ - ٢٨) .

ويروى لنا الإنجيل المقدس أن الرب يسوع فيما كان خارجاً من مدينة أريحا « تبعه جمع كثير ، وإذا **اعميان جالسان على الطريق** . فلما سمعا

أن يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا يا سيد يا ابن داود . فانتهرهما الجمع ليسكتا ، فكانا يصرخان أكثر قائلين ارحمنا يا سيد يا ابن داود . فوقف يسوع وناداهما وقال : ماذا تريدان أن أفعل بكما . قالا له يا سيد أن تنفتح أعيننا . فتحنن يسوع ولمس اعينهما . فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه » (متى ٢٠ : ٢٩- ٣٤) ... ومن هذا الحديث الذى دار نعرف تماماً ويقيناً أن الله مستعد أن يعطى لو كانت لدينا النية ... أنه مستعد أن يعطينا كل شىء ...

وفى معجزة شفاء مريض بيت حسدا البائس الذى طالت علته إلى ثمان وثلاثين سنة ، يقول القديس يوحنا الإنجيلى : « هذا رآه يسوع مضطجعاً ، وعلم أن له زماناً كثيراً . **فقال له اتريد أن تبرأ .** اجابه المريض يا سيد ليس لى إنسان يلقينى فى البركة متى تحرك الماء ... » (يوحنا ٥ : ١- ٩) ... **هنا نرى الرب يسوع رغم علمه بطبيعة الحال بظروف ذلك المريض الصعبة ، وجه إليه سؤالاً محدداً « أتريد أن تبرأ » ... وحينما شرح المريض بنفسه ظروفه تعبيراً عن رغبته فى الشفاء ، أبرأه المسيح** « قم إحمل سريرك وامش » .

إذن أول نقطة للإعداد لرحلة الطريق إلى الله ، هى توفر النية والرغبة فينا . وهنا لا بد من وقفة قصيرة بيننا وبين أنفسنا لنسأل « هل لدينا الرغبة حقيقة أن نسلك الطريق مع الله أم لا ؟ » ... وإذا كانت الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب . وكان هذا معبراً حقيقة عن دخيلة نفسك وما فى أعماق قلبك ، **فتأكد أن الله لا بد وأن يعطيك سؤل قلبك ... بل بحسب تعبير القداس الغريغورى « أكثر مما نسأل أو**

وقبل أن ننتقل من هذه النقطة إلى غيرها ، أود أن نفرّق بين أمرين : الرغبة الصادقة والتمنى ... فالتمنّى لا يرقى إلى درجة الرغبة الصادقة . والتمنّى وحده لا يوصل الإنسان إلى ما يريد . بل يجب أن تتوفر الرغبة الصادقة مع التمنى ، إذ هى القوة الدافعة التى تدفع الإنسان إلى العمل وبذل الجهد ... نأخذ مثلاً : إنسان يقول « نفسى أروح هذه الرحلة . خذونى معكم » ... يقول هذا دون أن يحرك ساكناً ولا يتحرك هو... ألا يحتاج القيام برحلة إلى تحرك واعداد ، مثل التقدم للشخص المسئول عن الرحلة واثبات اسمه ضمن المشتركين فيها ، ودفع قيمة الإشتراك ... إلخ مثل هذا الإنسان لم يتحرك ، وكل ما فعله أنه قال : نفسى أروح الرحلة ، واكتفى بذلك ... قطعاً سوف لا يكون له نصيب فى هذه الرحلة ... **ننتقل إلى النقطة الثانية من موضوعنا وهى وضوح الهدف .**

ثانياً ـ وضوح الهدف :

والمقصود أن يكون الإنسان عارفاً تماماً بما سيفعله ، وإلى أين يذهب ، وكم من الزمن سيقضيه فى هذه الرحلة ، وبالجملة كل ما يتعلق بهذه الرحلة ... لا بد وضوح الهدف لكى يكمل الإنسان الطريق ... **يُشَبّه العالم فى الكتب المقدسة بالبرية (الصحراء)، وبالبحر...** والإنسان الذى سار فى الصحراء يعرف معنى هذا الكلام ... الصحراء ليس فيها طرق معبدّة محددة المعالم . بل حيثما تتلفت حولك ويمتد بصرك فلا ترى سوى رمالاً وكثباناً وتلالاً متشابهة ... وليس أسهل من أن يضل

الإنسان فى الصحراء ، وينتهى الأمر بمأساة ، وربما بهلاكه ... ولا بد للسائر فى البرية أن يضع أمامه هدفاً معيناً أياً كان ، كأكمة مرتفعة متميزة عما حولها . ويجب أن يظل نظره متعلقاً بهذا الهدف لا يتحول عنه ، وإلاّ تاه وسط هذه التيه !! ... فإذا كان هذا هو الحال فى البرية القاحلة ، فإن نفس الأمر يحتاجه المسافر فى البحر أو المياه الشاسعة ... لا بد من هدف يضعه أمامه المسافر ... هكذا لا بد من وضوح الهدف لمن يريد سلوك الطريق إلى الله .

السيد المسيح له المجد نفسه فى تدبير خلاص البشرية كان أمامه هدف . ويعبر معلمنا بولس عن ذلك بقوله عن المسيح « الذى **من أجل السرور الموضوع أمامه** ، احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله » (عبرانيين ١٢ : ٢) ... إذن كان هناك هدف أتى المسيح لأجل تحقيقه والسعى نحوه ، وهو خلاص العالم مدفوعاً بحبه لهم ... ذلك الحب الذى بلا سبب .

هناك خطأ خطير يقع فيه كثيرون ، بل وكثيرون جداً ، وهو الخلط بين الأهداف والوسائل . لذا من الأهمية بمكان أن نتوقف لنجيب على سؤال أساسى وحيوى فى هذا الموضوع الذى نناقشه : **ما هو الهدف فى الطريق إلى الله ؟**

ما هو الهدف فى الطريق إلى الله :

الهدف الأكبر فى الطريق هو الله ذاته والاتحاد به ... أما ما يعرف باسم الوسائط الروحية كالصلاة والصوم والقراءات الروحية والتناول المقدس ... ، فهذه كلها وسائل مقدسة تحفظنى فى الطريق وتعيننى على بلوغ هذا الهدف ... ماذا يحدث لو اختلط الأمر وتحولت الوسائل إلى غايات أو أهداف ؟... وكمثال ، ماذا يحدث لو اختلط الأمر وصارت الصلاة هدفاً ؟ هل تعرفون النتيجة ؟... النتيجة أنه طالما صارت الصلاة هدفاً فى حد ذاتها ، فحينما أصلى ، أحسّ أنى حققت الهدف . وطالما انى قد حققت الهدف ، فإن الأمر ينتهى عند هذا الحد ... يجب أن ننتبه جيداً إلى هذا الأمر ، وهو أن الدين ليس مجموعة فرائض ... وإلاّ لو كان الأمر كذلك ، فحينما اتمم ما علىَّ من فرائض استريح ، ويستريح ضميرى لأنى أديّت ما علىَّ !! ومن هنا جاء المثل السائر :
« يعمل الفرض ، وينقب (يسرق) الأرض » !!

وثمة نقطة أخرى فى الموضوع فى غاية الأهمية ، هى المحاكاة أو التقليد ... فنحن فى كثير من الأحيان نتحول إلى مجرد مقلّدين لآخرين ، نحاكى أعمالهم وتصرفاتهم دون أن يكون هناك وراء تصرفاتنا دوافع خاصة لهدف نحن نراه واضحاً أمامنا ... فنحن نرى الناس يصلّون لذا نصلى مثلهم ... يذهبون إلى الكنيسة نذهب مثلهم ... يحضرون الاجتماعات الروحية نحضر مثلهم ... **ولو سألنا أنفسنا سؤالاً « لماذا اتينا إلى هذا الاجتماع » ، وجاوبنا بأمانة وصراحة ، فسنرى عجباً**

فى الإجابات . ولو كشف الرب ما بقلوبنا لرأينا عجباً أعظم !!...
أعتقد أن هناك من يحضرون مثل هذه الاجتماعات لتمضية وقت فى مكان **مقدس** . وهناك من يحضرون مع أصدقائهم ـ وهذا لابأس به ، بشرط **محاولة** الاستفادة طالما أنهم أتوا . وهناك من يحضرون لرؤ ية المتكلم وماذا **سيقول** ، حتى ما يصدروا الحكم فى نهاية الاجتماع على المتكلم وكلامه !! **لكن هل فكر كل واحد منا أنه أتى لكى ما يلتقى بالله فى هذا المكان المقدس ؟** انظروا ما أعظم الفرق ... وإذا انت أتيت بهذا **القصد** ، فسوف تلتقى بالرب ، وسيعطيك حسب قلبك ، كما يقول المرنم :
« **يعطيك** الرب حسب قلبك » (مزمور ٢٠ : ٤) .

فى إجتماعى بالآباء الكهنة ذات مرة ، اعترضت عليهم اسلوبهم فى **طبع اعلانات** بأسماء متكلمين مشهور ين ، وموضوعات جذابة **لاجتماعات** الشباب . وإن كان الهدف طيباً وهو جذب الشباب ، لكننا **نحن ما** اعتدنا هذا الأسلوب حينما كنا شباباً . كنا نذهب إلى اجتماع **درس** الكتاب المقدس أو أى اجتماع ، دون أن نعرف من سيتكلم . **لكننا** كنا نذهب لسماع كلمة الله على فم أى متكلم ... من أجل هذا **نرى بعض** الناس ـ خاصة الشباب ـ يحضرون الاجتماعات لسماع متكلم **معين** . أعتقد أن هذا أسلوب غير سليم ... **إذا أنت اتيت إلى الكنيسة بقصد الاستفادة ، فسوف تستفيد قطعاً . لأنك تحس أن الله يكلمك بصرف النظر عن الإنسان المتكلم ...** أنا لا اتصور أنى أحضر إلى بيت الله بقصد الفائدة الروحية واخرج فارغاً ... إن هذا لن يحدث ولن يكون ، فالمسيح له المجد يقول « **من يُقبل إلىَّ لا أخرجه خارجاً** » (يوحنا ٦ :

٣٧) ... ممكن حدوث هذا ، لو أنك قصدت إنساناً . إذ ليس للإنسان ما يشبع جوع الروح و يروى عطشها ...

هذا الخطأ يقع فيه كثيرون ... أُناس إذا ارادوا حضور قداس فى الكنيسة ، يسألون أولاً عن الكاهن المصلى قبل أن يحضروا . فمتى كان هذا الكاهن يستهويهم بصوته وعذب الحانه أو اسلوبه فى الوعظ حضروا ، وإلاّ احجموا عن الذهاب للكنيسة ... أيها الإخوة يا للأسف والأسى والخطية !! نحن نخطىء كثيراً إن تصرفنا على هذا النحو. نحن نحضر إلى الكنيسة لنلتقى بالله ونستمع إليه ، ونرفع إليه صلواتنا ، ونبثه شجوننا وآلامنا ، ونطلب عونه ومراحمه . يجب ألا نحضر إلى الكنيسة من أجل إنسان بل من أجل الله .

إياكم أن تتحول الوسائل لديكم إلى اهداف ... يجب أن يظل الهدف هو الهدف ، لا شىء يخفيه عنا . وعلينا من وقت لآخر أن نسأل أنفسنا من جهة هذا الهدف . إن الأنبا أرسانيوس العظيم معلّم أولاد الملوك ، بعدما ترك العالم وسكن البر ية ، كان بين الحين والحين يسأل نفسه [يا أرسانيوس أذكر فيما خرجت لأجله . أذكر لماذا تركت العالم واتيت إلى هنا] ... ليتنا ونحن جلوس فى الكنيسة نسأل أنفسنا : لماذا أتينا إلى الكنيسة ؟ إن عدو الخير يحاول أن يسلبنا عواطفنا ومشاعرنا المقدسة . لكن لنجمع أفكارنا ، لئلا تكون منشغلة بآخر غير الله ، أو بشىء آخر غير خلاص أنفسنا ... لتكن أفكارنا فى الله وحده ، لكى يصبح هو الكل فى الكل فى حياتنا ... **ننتقل إلى النقطة الثالثة فى موضوعنا وهى عن الإيمان .**

ثالثاً - الإيمـــان :

فى الاعداد لرحلة الطريق إلى الله ، يأتى الإيمان . لكن ماذا يمكن أن نقوله عن الإيمان ، الذى قال عنه الرسول بولس إنه بدون إيمان لا يمكن ارضاء الله (عبرانيين ١١ : ٦) ... « وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية » (رومية ١٤ : ٢٣) .

أيها الأخوة ... إن الطريق إلى الله يحتاج بلا شك إلى الإيمان ... فالطريق هو إلى الله ، والإيمان هو بالله وفى الله ... **فما هو هذا الإيمان الذى نحتاجه ونحن نعدّ لرحلة الطريق ؟**

لقد قدم بولس الرسول تعريفاً محدداً للإيمان قال : « **الإيمان هو الثقة بما يُرجى ، والإيقان بأمور لا تُرى** » (عبرانيين ١١ : ١) ... **الإيمان ثقة ، ولأنه ثقة بالله ، لذا** « **فكل ما ليس من الإيمان فهو خطية** » ... **لأن عدم الثقة فى الله اهانة له** ... إذا حدث وقال إنسان لآخر إنى لا أثق بك ، أو لا ثقة لى فيك ، ألا تعتبر هذه إهانة كبيرة لذلك الإنسان ؟! ... وحتى لو لم نتجرأ ونقول هذه الكلمة لله أو عنه ، لكنه يعرف الخفايا والسرائر ...

الإيمان هو اليد التى تأخذ ما تريده من الله ... هى اليد التى يتعامل الله معها ، وبها نأخذ كل عطاياه ... إذا أراد إنسان أن يعطى آخر شيئاً ما ، فعلى هذا الآخر أن يمدّ يده و يبسطها لكى ما يأخذ هذا الشىء ... **من جهة الله هو مستعد أن يعطيك كل شىء مقابل شىء**

واحد هو الإيمان !! ألم يقل المسيح بفمه الإلهى الطاهر « **كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه** » (متى ٢١ : ٢٢) ... لقد أعطى الله الإيمان كل القوة ، وكل الفاعلية أن يأخذ كل ما يريده .

على أن فشل البعض فى الحصول على طلباتهم من الله ـ رغم ادعائهم بالإيمان ـ إنما يرجع لبعض الأسباب ... لا بد وأن يكون الإيمان كاملاً ... **ولكى يكون الإيمان كاملاً : لا بد وأن تتوافر له ومعه بعض العناصر ...**

أ ـ الشعور بوجود الله :

أول ما ينبغى توفره فى الإيمان هو الشعور بوجود الله ... نحن فى رحلة طويلة وسائرين فيها ، ولا نعلم ماذا يصادفنا خلالها ، لذا **فإن الأمر** يتطلب إيماناً بالله ... يقول معلمنا بولس الرسول : « لكن بدون **إيمان لا** يمكن إرضاؤه . **لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود** وأنه يجازى الذين يطلبونه » (عبرانيين ١١ : ٦) ... وسوف نعرض لهذه النقطة بإسهاب ونحن نعالج موضوع رفاق الطريق ... إن الله يرافقنا فى هذا الطريق مع رفاق آخرين ... « لأنه يجب أن الذى يأتى إلى **الله يؤمن** بأنه موجود » . **ما معنى أن الله موجود ؟ ما معنى الشعور والاحساس بوجود الله ؟**

نقول الله موجود ، وربنا موجود ... نعم ، الله موجود ، **لكن المقصود هنا ليس المعنى اللاهوتى أن الله موجود فى كل مكان ...** إنما موجود هنا تعنى أنه ينظر ويعتنى ويتصرف وينتقم إذا تطلب الأمر الإنتقام ،

ويحفظ إذا لزم الحفظ ، و يستر إذا احتاج الأمر إلى الستر ، و يشجع فى حالة الحاجة إلى التشجيع ، و يبعث الرجاء فى النفس فى حالة الافتقار إلى الرجاء .

نعم الله موجود « لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله و يؤمن بأنه موجود » . هناك بعض الناس فى أوقات الضيق والتجارب يقولون نر يد أن نرى أين الله - فين ربنا ده ... الإنسان كاد يكفر أين هو الله . ولو كان فيه ربنا كان يحصل كده ... إلخ . مثل هؤلاء الناس لا يشعرون أن الله موجود . ولو أن الله أعطاهم كل رغباتهم لكان بالفعل موجوداً ، حتى لو كانت هذه الرغبات خاطئة . ومن المستحيل أن يحقق الله رغبات خاطئة ، أو يعطى الإنسان ما ليس لخلاص نفسه .

على أى الحالات ، **فإن الشعور بوجود الله عنصر من عناصر الإيمان ... هو تدريب شيقّ وقوى ونافع جداً ، لأنه يمنع الإنسان من الزلل** . إنه يحس بأن الله موجود - ليس فقط ليتشجع بهذا الشعور والإحساس - بل موجود وناظر إليه و يرقب كل تصرفاته ... وهذا وحده كافٍ لردع الإنسان ومنعه من الخطأ . وما أبلغ العبارة التى قالها المرنم : « **جعلت الرب أمامى فى كل حين . لأنه عن يمينى فلا اتزعزع** » (مزمور ١٦ : ٨) ... وطالما هو موجود ، فإنه يمنع الأضرار ، و يوقف المصائب و يبعد عنا الكوارث ... هذا هو الإيمان ببساطة ... هذا عن العنصر الأول الخاص بالإحساس بوجود الله ... **أما العنصر الثانى فهو الثقة فى الله .**

ب ـ الثقة فى الله :

الإيمان هو أن يثق الإنسان فى الله ، وفيما يطلبه منه ... تعالوا نقيّم ثقتنا بالله كبشر. إنه لأمر مخجل حقاً أن يثق المريض فى طبيبه أكثر من ثقته بالله . وأن يثق المسافر فى سائق العربة أو القطار أو الطائرة ثقة تفوق ثقته بالله ... الإنسان يركب وسيلة المواصلات أياً كانت ، و ينشغل بالقراءة أو أى شىء آخر ، وهو واثق أن السائق سوف يصل به إلى حيث يريد !! **إنه أمر مخجل حقاً أن نثق ببعض الناس أكثر من ثقتنا بالله !! لماذا هذا ؟!**

لقد أعطانا الله مواعيد عظمى وثمينة (بطرس الثانية ١ : ٤) ... ها إن الله قد أعطاك كل شىء . أعطاك سلطاناً على السماء والأرض ... إن الله لم يعطنا الجزء ، بل أعطانا الكل بواسطة الإيمان ... إنسان محتاج يطلب من إنسان ثرى أن يقرضه مبلغاً من المال فيقول له ذلك الثرى الطيب سوف لا أعطيك المبلغ الذى تطلبه ، بل سأعطيك مفتاح خزانتى لتأخذ منها ما تريد !! هكذا يتعامل الله معنا ... ألم يقل المسيح له المجد « إسألوا تعطوا . أطلبوا تجدوا . اقرعوا يُفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يُفتح له » (متى ٧ : ٧ ، ٨) ... « ومهما سألتم بإسمى فذلك افعله ليتمجد الآب بالابن . إن سألتم شيئاً بإسمى فإنى أفعله » (يوحنا ١٤ : ١٣ ، ١٤) . وأمام هذه المواعيد العجيبة ، هناك إحتمالان : فإما أن الله غير صادق فى مواعيده وإما أن هناك عيباً فينا ، أو أننا لا نريد أن نأخذ !! وبطبيعة الحال فإن الله صادق ، وحاشا له أن يكذب (رومية ٣ : ٤) ...

« السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول » (متى ٢٤ : ٣٥) ... هذه هى مواعيد الله ... إذن لا بد وأن يكون العيب فينا ...

إن يد الله ممدودة مستعدة لعطائنا ، لكننا لا نأخذ ... بابه مفتوح مستعد لدخولنا لكننا لا ندخل . وصوته العالى ينادينا ونحن لا نصغى ولا نسمع أو لا نريد أن نسمع ونقبل إليه !! العيب ليس فى الله بل فينا ... هلم ، ثق فى الله وكل مواعيده ، وتعال وسوف ترى حسن صنيعه معك ... فقط ثِقْ فى مواعيده . واتكل عليه من كل قلبك وسترى عجباً ...

لكن علينا أن نعرف ونحن نتكلم عن الثقة فى الله ، أن هناك اعداء للإيمان . ومن أعداء الإيمان العقل ، بل لعله أكبر الأعداء !! ليس معنى هذا أن العقل خطية أو تجربة حاشا لنا أن نقول ذلك . لكننا نقصد الإنسان الذى يضع اقوال الله ومواعيده تحت عقله وفحصه ، يأخذ منها ما يقبله عقله ، ويرفض كل ما عداه ... مثل هذا الإنسان لن يستفيد من مواعيد الله ... لقد امتدح السيد المسيح إيمان الصغار : « الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣) ... وما ذلك إلاَّ لأن الصغار عندهم عنصر التصديق ، الذى يستند إلى البراءة والبساطة . الطفل أو الصغير لا يفكر بعقله ، لكنه يُسلّم بما يُقال له و يصدقه ...

هكذا مطلوب منا أن نثق فى صدق الله وصلاحه وحبه وعنايته وحدبه « **هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك** » (إشعياء ٤٩ : ١٥) ... ونثق فى أن الله لا ولن يتغير « ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » (يعقوب ١ : ١٧) وهو هو

امساً واليوم وإلى الأبد (عبرانيين ١٣ : ٨) ... ومعنى أن الله ليس عنده تغيير ، انه كما كان مع آبائنا واسلافنا سيكون معنا ... **إن الكتب المقدسة وسير القديسين مليئة بمعاملات الله معهم ، وعنايته بهم ورعايته لهم ، حتى وهم فى شقوق الأرض والمغاير والبرارى والجبال ...** أما عنصر التغيير فقد حدث فينا ، فقلت ثقتنا فى الله أو كادت تنعدم ...

ينبغى أن تكون احد عناصر ثقتنا فى الله أنه صالح ومحب لا ينسى أولاده . ثم نثق فى قوته وقدرته وأنه قادر على كل شىء ... إن هذا الكلام يعتبر من البديهيات ، لكن الكلام النظرى شىء ، والإحساس واليقين بصدقه شىء آخر هو المطلوب .. ان عبارة « الضابط الكل » التى نسمعها ونرددها ، معناها الحرفى فى اللغة اليونانية « الكلى القدرة » ... هذا هو إلهنا الذى نعبده ونسير خلفه ونتبعه ، وهذه هى الثقة التى لنا فيه ... إنه معنا كل الأيام إلى إنقضاء الدهر (متى ٢٨ : ٢٠) .

حدث أن **شعب الله قديماً ، فيما كانوا يقتربون من شاطىء البحر الأحمر ،** أنهم رأوا فرعون بمركباته وجنوده وفرسانه ، يجدّون فى اثرهم . امتلأت قلوبهم هلعاً ورعباً ، وارتجفوا وتذمروا على موسى لكن موسى رجل الله قال لهم : « **لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون** » (الخروج ١٤ : ١٣ ، ١٤) ... إن حادث البحر الأحمر لم تكن حدثاً تاريخياً وقع وانتهى ، لكنه مازال على مستوى الواقع يتكرر من يوم إلى يوم . مازال الله ـ بنفس الصورة القديمة يعمل معنا ، لكن فهمنا ثقيل ـ ألم يقل المسيح له المجد : « وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون شياطين بإسمى ... يحملون حيات ،

وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم » (مرقس ١٦ : ١٧ ، ١٨) ... **يجب أن نفهم أننا نحيا بمعجزة . وكل من له حس روحى يستطيع أن يلمس يد القدير وهى تعمل .** أنا لا أتكلم عن أحداث مضى عليها مئات السنين ، لكنى أتكلم عن تاريخنا القريب والمعاصر . والله بهذا المفهوم يتعامل مع شعبه كأفراد وجماعة مؤمنين وكنيسة ...

ماذا يقول السيد المسيح أيها الأخوة « اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم . فلا تهتموا للغد » (متى ٦ : ٣٣ ، ٣٤) ... وملكوت الله هنا تعنى خلاص النفس « ها ملكوت الله داخلكم » (لوقا ١٧ : ٢١) . الله يريدنا ألا ننشغل إلاَّ بخلاص أنفسنا ، أما الأمور الباقية فقد أخذ الله مسئوليتها ... يعوزنا هذا الإيمان ونحن فى رحلة الطريق إلى الله ، حتى لا ننشغل بأمور أخرى ، أعلن الله تكفله بها ...

هناك عدو آخر من أعداء الإيمان هو الشك ... فى إحدى المرات أمر السيد المسيح تلاميذه أن يركبوا السفينة و يذهبوا إلى عبر البحر . وفى الهزيع الأخير من الليل رأوه التلاميذ ماشياً على الماء . فى البداية ظنوا أنه خيال . فقال لهم « أنا هو لا تخافوا » . فقال بطرس « إن كنت أنت فمرنى أن آتى إليك ماشياً على الماء . فقال له تعال . فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع . **ولكن لما رأى الريح شديدة خاف . وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يارب نجنى .** ففى الحال مدّ يسوع يده وامسك به ، وقال له **يا قليل الإيمان لماذا شككت** » (متى ١٤ : ٢٢ ـ ٣١) ... ولو لم يشك بطرس لاستمر فى سيره على الماء .

وفى يوم اثنين البصخة بعد أن يبست شجرة التينة غير المثمرة بأمر

الرب يسوع وبكلمته قال لتلاميذه « **إن كان لكم إيمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون** » (متى ٢١ : ٢١) ... بقدر ما يبدو هذا الإيمان فى نظر البعض صعباً ، لكننا لا نستطيع أن نخطىء ، وننسب لله عدم الصدق فى كلامه ومواعيده . إن عطية الإيمان ، وهبة الإيمان ، وقوة الإيمان ، وما يستطيعه الإيمان إنما هى عطية مجانية لكل إنسان بشرط أن يصدق فقط ... **الله يريد أن يعطينا ، ويريدنا أن نأخذ ، لكن يعوزنا يد الإيمان المبسوطة التى تأخذ من الله** . أعود وأقول إن الإيمان هو اليد التى بها نأخذ كل شىء من الله .

ثم ماذا أيها الأخوة ... كان ينبغى أن نتكلم عن شىء آخر ، ونحن نعد لرحلة الطريق . هو شىء مرتبط بالإيمان ، لكنى سأتحدث عنه بإسهاب فى الموضوع القادم « مؤونة الطريق » ... **هذا الشىء هو الحب** ... والحب والإيمان مرتبطان ببعضهما . يقول رب المجد « الذى عنده وصاياى ويحفظها ، فهو الذى يحبنى . **والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى** » (يوحنا ١٤ : ٢١) ... هذا هو قمة الإيمان الذى يستند إلى الحب . **إن الحب والإيمان يسيران جنباً إلى جنب ، ويرتبطان ببعضهما إرتباطاً وثيقاً** ... لأنه كيف يمكن لإنسان أن يحب من لا يصدقه ولا يثق به (الإيمان) ، أو كيف يمكن لإنسان أن يثق ويصدق (الإيمان) من لا يحبه ؟!

الا فليباركنا الله بكل بركة روحية ويعين ضعف إيماننا ، ويختم بالبركة على هذه الكلمة آمين .

مؤونة الطـــريق

- المحبـــــة .
- محبة الله للإنسان .

  مســـبقة :

  غير مسببة :

  صنعت فداء مجانياً .
- قيمة المحبة فى نظر الله .
- الاتضاع والمسكنة الروحية .
- الصـــبر .

مؤونة الطريق

إن كنا نتكلم عن السفر والإرتحال ، فمن الطبيعى أن الإنسان المسافر المرتحل عليه أن يعد نفسه ، و يعد للطريق مؤونته ، خاصة إذا كان السفر بعيداً وطويلاً ... **فما هى مؤونة الطريق إلى الله ؟**

لا شك أن الفضائل الروحية على اختلافها هى مؤونة هذا الطريق الروحى إلى الله . لكن يتميز من بينها ثلاث فضائل أساسية لازمة للطريق هى الحب والاتضاع (المسكنة الروحية) والصبر... **نبدأ بالكلام عن المؤونة الأولى وهى الحب ...**

أولاً ـ الحـــــب :

بلا أدنى مبالغة أحس بعجزى التام ـ ليس فى هذه المرة فحسب ، بل فى كل مرة أردت أن أتكلم عن الحب ، لأن **الحب هو الله نفسه « الله محبة »** (يوحنا الأولى ٤ : ٨ ، ١٦) . لذا لا نكون مبالغين إن قلنا عن الحب **إنه القوة الدافعة الكبرى ، التى تحرك الكون بكل ما فيه من كائنات حية ... هو القوة الدافعة الكبرى ، ليس فى الأمور الإلهية وحدها ، وفى الطريق إلى الله ، بل فى كل شئون الحياة .**

فالأب والأم فى الأسرة ، يتعب كل منهما ويشقى مدفوعاً بدافع الحب نحو أولاده .... فمحبة الوالدين لأولادهما محبة عجيبة غريزية ، **تعمل وتعمل دون أن تنتظر مقابلاً . إنها محبة تتعب بفرح . ولا عجب ،**

فالإنسان يرى ذاته فى أولاده . فالأب والأم بكل رضى يتجشّمان الصعاب تلو الصعاب فى سبيل إسعاد أولادهما ... و ياليت الأولاد يقدّرون ذلك ! كم يتعب الآباء ، وكم تتعب الأمهات فى صَبْر واحتمال وحب ووداعة ، بلا تأفف أو دمدمة أو ضجر ... وهم يفضلون كل ذلك مدفوعين بدافع الحب ، الحب وحده ... وما التعبيرات الشعبية التى نسمعها وتتردد على شفاه الأمهات بنوع خاص نحو فلذات اكبادهن إلاَّ تعبير عما يجيش بصدورهن وقلوبهن من حب جيّاش نابض نحو أولادهن ...

هذا الحب ليس سوى صورة متناهية فى الصغر لمحبة الله لأولاده ، استودعها قلوب الوالدين ... نعم إن الحب هو القوة الدافعة الكبرى فى كل أمور الحياة ... **تصوروا معى عالماً بلا حب ، أو أسرة بلا حب !!** إنها صورة مجسّمة للخراب الدمار ، محكوم عليها بالفشل ، مقضى عليها بالتوقف ... **الحب هو قوة الجاذبية البشرية** ، التى تجذب كل فرد من أفراد الأسرة نحو الآخر ، كما فى قوانين الجاذبية ، سواء الأرضية أو التى بين الكواكب والعوالم الأخرى . الكون كله محفوظ بهذه الجاذبية . وإذا اختلت الجاذبية بين الأرض والكواكب الأخرى ، لانتهى عالمنا ومعه عوالم أخرى !!

نعم ، الحب هو روح الحياة ، والقوة الجبارة التى تدفع الحياة بما فيها من مظاهر. والحياة حين تخلو من الحب ، تخلو من الله ، لأنه هو المحبة . وإن خلت الحياة من الله تكون بالضرورة خالية من الحب . ونقصد نوعية خاصة من الحب المقدس ، انسكبت فى قلوب البشر بالروح القدس ، من قبل يسوع المسيح ربنا (رومية ٥ : ٥) ... **الحب هو النور**

الذى يضىء ويظهر المرئيات ، ويقود خطوات الإنسان فى الطريق . وإذا انطفأت شعلة الحب ، ساد الظلام كل شىء ... **الحب هو رحيق الحياة يجذبنا للعمل والحركة وبذل الجهد ،** على نحو ما تجذب الزهرة النحلة النشيطة برحيقها ، تمتصه ليصير بها وفيها شهداً . **الحب هو التعزية فى الطريق الصعب ، والمشجع فى الضوائق والشدائد ...** وليس هذا عجيباً ، فالمحبة تحتمل كل شىء ، وتصبر على كل شىء ... وبعد أيها الأخوة ، ماذا يمكن إن يُقال عن الحب ؟! إنه يسمو على كل شىء ، ويحوى كل شىء !! إنه يسمو على الفضائل كلها ، بل إن الفضيلة التى يمارسها الإنسان خالية من الحب هى مرفوضة لأنها أقرب إلى الرذيلة ... !!

لقد عبّر الله عن محبته فى الطبيعة الجامدة والخلائق الأخرى ... قال المرتل « ما أعظم أعمالك يارب ، كلها بحكمة صنعت . ملآنة الأرض من غناك ... كلها إياك تترجىّ لترزقها قوتها فى حينه . تفتح يدك وتشبع خيراً » (مزمور ١٠٤) .

ماذا يمكن أن يكتبه كاتب عن المحبة أو يقوله متكلم عنها . لن يستطيع الإنسان أن يوفيها حقها ، لأنه يعجز عن أن يحدها ويَسْبر أغوارها وأعماقها ... إنها تتسع وتتسع حتى تشمل الحياة كلها . وتسمو وتسمو حتى تشمل الفضائل جميعاً !! كفى أن الله محبة . وإن كان الله غير المحدود هو المحبة ، فكيف يمكن لإنسان أن يحدها أو يدرك أسرارها !!

وحينما نتكلم عن المحبة أو الحب يلزمنا أن نتكلم عن الله المحب ،

أو الله مصدر الحب ومُعْطيه والإنسان الذى هو موضوع هذا الحب . أو بعبارة أخرى نتكلم عن المحب والمحبوب ، الله والإنسان وبطبيعة الحال سوف لا نستطيع أن نتكلم عن الله المحب ، أو الله فى محبته ، إلاَّ بقدر ضئيل جداً ... وسيكون كل الحديث عن محبة الإنسان لله - التى هى بطبيعة الحال صدى لحب الله الكبير غير المحدود ... إنها المؤونة التى يحملها الإنسان معه فى رحلة الطريق إلى الله ... أما عن الله المحب ، فسوف نشير إليه مجرد إشارة .

الحاجة إلى واحد وهو الله :

لماذا يجب أن نحرص على أخذ الحب مؤونة أساسية فى رحلة الطريق إلى الله ؟

لقد خلق الله كل شىء لأجل الإنسان تاج الخليقة ، لكن روح الإنسان التى هى نسمة من نسمات القدير لا يُشبعها سوى خالقها !! إنها كالعروس التى تفرح بهدايا يقدمها لها عريسها ، لكن فرحتها - ليس من أجل تلك الهدايا فى ذاتها - بل لأنها مقدمة إليها من عريسها الذى تحبه ويحبها ... وفى ذلك يقول القديس والفيلسوف أوغسطينوس عبارته المشهورة فى صدر كتاب اعترافاته [**لقد خلقتنا لك يا الله . ونفوسنا سوف تظل بلا راحة حتى ترتاح فيك] !!**

إن النفس البشرية راحتها الحقيقية فى الله مهما توفر لها من لذات ومتع ... فنفس الإنسان وهى بعيدة عن الله تهلك جوعاً !! ومن ثمَّ

لقد قدم المسيح ذاته **كخبز الحياة لأنه لا يوجد شيء يقدر أن يشبع روح الإنسان** سوى المسيح وحده ... لقد قدم السيد المسيح ذاته **كخبز الحياة لنأكل** ونشبع - ليس مرة واحدة ، بل باستمرار ، على نحو ما نحتاج للخبز **العادى** ... ونفس الإنسان ببعدها عن الله تهلك عطشاً . لذا لا نعجب إذا **سمعنا** المرتل يقول قديماً « **عطشت نفسى إليك** » (مزمور ٦٣ : ١) ... **ثم** يأتى السيد المسيح ليعلن : « **إن عطش أحدٌ فليقبل إلىَّ و يشرب** » (**يوحنا** ٧ : ٣٧) . وقال للمرأة السامرية : « **من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد** » (يوحنا ٤ : ١٤) .

فالله هو شبع الإنسان وربّه ... هو النور الأعظم « **أنا هو نور العالم** » (**يوحنا** ٨ : ١٢) لذا فالإنسان بعيداً عن الله يحيا فى ظلمة . **والنفس** البشرية البعيدة عن الله تحيا فى حالة عرى . يقول معلمنا القديس بولس الرسول « **إلبسوا الرب يسوع المسيح** ، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » (رومية ١٣ : ١٤) ... **ويلخص بولس الرسول احتياج الإنسان إلى الله من كل وجه فى عبارة جامعة وجهها لفلاسفة أثينا ، قال** « **لأننا به (الله) نحيا ونتحرك ونوجد** » (أعمال الرسل ١٧ : ٢٨) .

مثال مريم ومرثا :

لقد استضافت الأختان مريم ومرثا الرب يسوع فى بيتهما . وانشغلت مرثا فى إعداد وليمة متواضعة للضيف الكريم ، بينما جلست مريم تحت قدميه ... لقد جلست أمام المائدة الحقيقية ، التى يهفو إليها كل الأبرار

كل الجياع والعطاش لأجل البر . **لقد ظنت مرثا أنها تستطيع أن تكرم الرب وتُعد له وليمة ، لكنها لم تصل فى محبتها إلى محبة أختها مريم التى ايقنت أن الوليمة الحقيقية هى التى يقدمها الرب ذاته .** ولذا فقد جلست تحت قدميه ، تستمع إليه ، وتشبع من كلامه الذى هو روح وحياة (يوحنا ٦ : ٦٣) ... إلى تلك المائدة جلس محبو الرب فى كل زمان ومكان وشبعت نفوسهم من دسم الروح فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (متى ٤ : ٤) .

لقد كانت كلمات النعمة تنساب من فم المعلم الإلهى ، وجاءت مرثا فى حماس جسدى تشكو اختها للرب يسوع قائلة له : « يارب أما تبالى بأن أختى قد تركتنى أخدم وحدى . فقل لها أن تعيننى ... لكن السيد المسيح - رغم تعب مرثا لأحله - أراد أن يوجه نظرها وعواطفها إلى المائدة الحقيقية ، والوليمة المشبعة ، فكان جوابه على شكواها « مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة . ولكن الحاجة إلى واحد . فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن يُنزع منها » (لوقا ١٠ : ٣٨ - ٤٢) ... **نعم الحاجة إلى واحد . وهذا الواحد هو الرب نفسه .**

مثال المرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى :

أراد فريسى يُدعى سمعان أن يستضيف السيد المسيح ، فسأله أن يدخل إلى بيته ويتعشى معه . وَلبىَّ السيد المسيح الدعوة . وسمعت إمرأة خاطئة فى المدينة أن المسيح مريح التعابى موجود فى ذلك المنزل . فاستعدت للذهاب إليه واعدت معها قارورة طيب غالى الثمن ... جاءت

تلك المرأة من وراء المسيح ، وانحنت إلى قدميه ، وذرفت دموعاً غزيرة بلت بها قدميه . ثم أخذت تمسحها بشعر رأسها . كما كانت تقبل قدميه ، وتدهنهما بالطيب (لوقا ٧ : ٣٦- ٥٠) ... هذا التصرف من جانب تلك المرأة الخاطئة ، وصمت المسيح ورضاه عنه ، أثار ثائرة الفريسى المضيف الذى أعدّ له وليمة ليتعشى معه . فأخذ يدين المسيح فى أعماق نفسه ، وكيف أنه سمح لإمرأة خاطئة أن تلمسه !!

والواقع انه كانت هناك وليمتان فى بيت ذلك الفريسى : وليمة أعدها الفريسى ووليمة أعدها المسيح للمرأة الخاطئة ... تلك الوليمة الحقيقية التى لم تكن شيئاً آخر سوى المسيح نفسه ، الذى فيه كل شبع النفس ...

يقول **القديس والفيلسوف أوغسطينوس** مناجياً الله :

[أيها النور غير المنظور هب لى عينين تستطيعان معاينتك . يا رائحة الحياة الإلهى هب لى حاسة جديدة للشم تجذبنى نحو رائحة اطيابك الذكية ... هب لى قلباً لا ينبض إلاّ بحبك ، ونفساً تعشقك ، وروحاً أميناً لذكراك ، وفكراً يدرك غور أسرارك ، وعقلاً يستريح فيك ، ويتحد بحكمتك المحيية دائماً ، ويعرف كيف يحبك بتقوى . أيها الحب المذخر فيك كل حكمة . أيها الحياة ، لمجدك يحيا كل مخلوق . لقد وهبتنى الحياة ، وفيك حياتى . بك أحيا وبدونك أموت . بك أقوم وبدونك أهلك . بك أمتلىء فرحاً وبدونك أهلك حزناً ... أتوسل إليك اخبرنى أين أنت ؟ أين القاك فأختفى فيك

بالكلية ، ولا أوجد إلاَّ فيك . اسرع واجعل من نفسى مسكناً لك ، ومن قلبي مستقراً . تعال فإنى مريض حباً . بُعدك عنى موت لى ، وذكُرك يُحيى نفسى ... إن كل من يعرفك يحبك . ينسى نفسه . يُحبك أكثر من ذاته . يترك نفسه وينجذب إليك ... إن كنت لم أحبك كما ينبغى ، فذلك لأننى لم أعرفك بعد جيداً] .

محبة الله المسْـــبَقَة :

نقطة ثانية يكشفها لنا رسول الحب يوحنا تلميذ الرب الذى إتكأ على صدره ، واستمع إلى نبضات قلبه ، يقول « نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً » (يوحنا الأولى ٤ : ١٩) . كما يقول « ... فى هذا هى المحبة . ليس اننا نحن أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا » (يوحنا الأولى ٤ : ١٠) . ما معنى هذا الكلام ؟ ... معناه إن حبنا لله مهما سما وازداد ، فهو ليس سوى صدى لمحبة الله الفائقة المعرفة (أفسس ٣ : ١٩) . **فأين وكيف تتجلى هذه المحبة المسبقة ؟**

أ ـ إنها محبة غير مسببة :

يكشف لنا السيد المسيح عن نوعية هذا الحب فى قوله « **هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد** ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) ... « هكذا أحب الله العالم » . ومعنى هكذا بلغتنا الدارجة (هو كده) ... أى أنه لا توجد أسباب لهذه المحبة . وهذا هو عين ما يعبر عنه الرسول يوحنا فى رسالته الأولى .

و يشير **القديس بولس الرسول** إلى تلك المحبة التى أظهرت فى المسيح ، فيقول لأهل أفسس « وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو. **وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة ،** لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله » (أفسس ٣ : ١٨ ، ١٩) ... و يتحدث **يوحنا الحبيب** رسول الرب فى أسلوب سهل إلى أولاده المؤمنين و يقول لهم « **انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله** » (يوحنا الأولى ٣ : ١) **!!**

والقديس والفيلسوف أوغسطينوس ـ الذى خبر مرارة الخطية وحياة البعد عن الله إلى اعماقها ، ثم ذاق حلاوة النعمة فى سموها وأوجها بعد توبته ـ يقول فى مناجاة لله بعد أن عرفه : [عيناك منجذبتان نحو خطوات البشر... أنت مهتم بكل خليقتك ، لا تحرم واحداً من جبلة يديك عن فيض حبك . أنت بنفسك تهتم بخطواتى وطرقى ليلاً ونهاراً . تسهر لرعايتى ، تلاحظ كل سبلى . لا تكف عن الاهتمام بى ، حتى ليمكننى القول إنك تنسى السماء والأرض وما فيهما ، مركزاً إهتمامك بى ، **فتبدو كمن لا يهتم بخليقة سواى ... إلهى حيثما أكون أجدك أمامى ، لأنك حال فى كل مكان .** وبنعمة حلولك هذا اتقابل معك اينما أكون حتى لا أهلك ، لأنه بدونك لا وجود لى ...] . لقد صدق أحدهم حين شبه روح الإنسان بحجرة سرية ، الله وحده يحتفظ بمفتاحها . وما لم يدخل هو، تظل تلك الحجرة خاوية لأنه لا يستطيع أحد أن يملأها سواه **!!**

هكذا حيثما اتجهت ابصارنا وتحولت افكارنا نرى محبة الله فى كل خليقته . حتى الطبيعة الجامدة نرى فيها محبة الله ... إنها صورة متقنة

معبّرة مادية ملموسة تعلن عن محبته هكذا يقول المرنم : « **السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه .** يوم إلى يوم يذيع كلاماً ، وليلٌ إلى ليلٍ يبدى علماً » (مزمور ١٩ : ١ ، ٢) ... « يارب إلهى قد عظمت جداً مجداً وجلالاً لبست . اللابس النور كثوب ، الباسط السموات كشقة . المسقف علاليه بالمياه ، الجاعل السحاب مركبته ، الماشى على اجنحة الريح ... المفجر عيوناً فى الأودية ، بين الجبال تجرى . تسقى كل حيوان البرّ . تكسر الفراء ظمأها ... من ثمر أعمالك تشبع الأرض . المنبت عشباً للبهائم ، وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض . وخمر تفرح قلب الإنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت ، وخبز يسند قلب الإنسان ... صنع القمر للمواقيت ، الشمس تعرف مغربها ... الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها . تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويها تربض . الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء . ما أعظم أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعت . ملآنة الأرض من غناك ... هناك دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع كبار ... كلها إياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه . تعطيها فتلتقط تفتح يدك فتشبع خيراً » (مزمور ١٠٤) .

ب - إنها محبة أحبت الإنسان قبل خلقته :

قبل أن يخلق الله الإنسان أعدّ له مسبقاً كل شىء ، وجعله سيداً للخليقة كلها . إذا تأملنا ما حولنا من خلائق كالشمس والقمر والكواكب والأجرام السمائية ... الأرض وما فيها ، البحار وما فى أعماقها ... هذا كله خلقه الله لأجل الإنسان ... ولعل خير ما يعبر عن هذه

الحقيقة كلمات القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات فى قداسه :

[قدوس أنت أيها الرب ، وقدوس فى كل شىء . وبالأكثر مختار هو نور جوهريتك . وغير موصوفة هى قوة حكمتك . وليس شىء من النطق يستطيع أن يحدّ لجة محبتك للبشر. خلقتنى إنساناً كمحب للبشر. ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى ، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك . من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتنى إذ لم أكن . أقمت السماء لى سقفاً ، وثبت لى الأرض لأمشى عليها . من أجلى ألجمت البحر . من أجلى اظهرت طبيعة الحيوان . أخضعت كل شىء تحت قدمىَّ . لم تدعنى مُعْوَزاً شيئاً من أعمال كرامتك . أنت الذى جبلتنى ، ووضعت يدك علىَّ . وكتبت فىَّ صورة سلطانك ووضعت فىَّ موهبة النطق . وفتحت لى الفردوس لأتنعم . أعطيتنى علم معرفتك . أظهرت لى شجرة الحياة ، وعرفتنى شوكة الموت ...] .

والقديس أوغسطينوس فيما يتأمل الكون بكل ما فيه قال : [إلهى لقد أخضعت كل شىء تحت قدمى الإنسان ، حتى يمكنه أن يكون بالتمام لك . ولهذا لم تقم عليه سيداً آخر سواك . بل جعلته هو سيداً على كافة خليقتك . لقد خلقت كل شىء لأجل جسده . وأوجدت جسده لأجل روحه ، وروحه لكى تكون لك . من أجل العينين أشرقت بالنور من السماء على الأرض . خلقت الشمس والقمر ، الأول ينير لأولادك نهاراً ، والثانى يضىء لهم ليلاً . لأجل تنفسه حوطته بالهواء النقى . لأجل أذنيه خلقت له الأنغام المختلفة . لأجل حاسة الشم أوجدت الروائح العطرية . لأجل حاسة التذوق أوجدت له أشهى

الأطعمة . لأجل حاسة اللمس أوجدت الأشياء المحيطة به . ولكى تعينه فى أعماله أوجدت له الحيوانات التى تخدمه ، وطيور السماء وثمار الأرض ... **كم أنت طيب يا إلهى . كم أنت رؤوف . تعرف جسدى معرفة جيدة لأنك أنت جابله] .**

جـ - إنها محبة صنعت فداءً مجانياً للإنسان :

وفى مجال الحديث عن فداء الإنسان المجانى ، يحلو لنا أن نتحدث روحياً - وليس لاهوتياً - عن هذا الفداء ، متأملين فى النقاط الآتية :

١ - التجسـد :

موضوع التجسد يا أحبائى بكل ما يحيط به ، إنما هو شىء يسمو على عقول البشر ، ويدعوه الرسول بولس سراً « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (تيموثاوس الأولى ٣ : ١٦) إن العقل يُذهل كيف أن الله خالق الكل ومالىء السموات والأرض ، يأخذ جسداً من فتاة عذراء ويصير فى أحشائها ؟!... ويتصل بموضوع التجسد أحداث الميلاد والهروب إلى مصر ومذبحة أطفال بيت لحم وغيرها ...

وإن كان عقل الإنسان الطبيعى يجد صعوبة فى فهم هذا السر العظيم لأنه يحاول أن يناقش الأمر بعقلانية مجردة خالية من الاتضاع . لكن الأمر بالنسبة للنفس المحبة لله يصبح مصدراً لتعزيات غامرة ، وكشفاً لمكنونات محبة الله الدافقة ، ومائدة روحية دسمة تشبع روح الإنسان ونفسه ، بل وحتى جسده أيضاً ... يقول

القديس أوغسطينوس وهو يتأمل تجسد ابن الله : [أنظر يا إنسان ماذا صار الله لأجلك ... لقد أحبنا حتى أنه وهو الكائن الأزلى الأقدم من كل المسكونة ذاتها صار فى السن أصغر من كثير من خدامه فى العالم . كطفلٍ كان يصيح فى طفولته بغير كلام ، مع أنه هو الكلمة (اللوغوس) الذى بدونه تعجز فصاحة البشر عن الكلام !!]... إن كان تجسد ابن الله قد كشف لنا أسرار محبة الله الحانية نحو البشر ، فإن التأمل فى محبة الله تقودنا إلى فهم هذا السر العظيم والتمتع ببركاته ...

والقديس مار يعقوب السروجى من آباء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فى القرنين الخامس والسادس يقول : [الجالس على المركبة الشاروبيمية حملته البتول فى حضنها . كانت تعطيه اللبن كطفل ، وهو يعطى المطر لمزروعات الأرض . الطفل الممسك بثدى أمه يرضع اللبن ، منه تطلب الطبائع ليعطيها قوتها . يمسك الثدى باليمين الذى بسطت السماء . هذا هو المولود الذى صوّر أمه فى بطن أمها . بالأمس خلقها ، وأتى اليوم فولد منها . صنع له لبناً ووضعه فى ثديى أمه الطاهر . وعاد فرضع من ذاك الذى صنعه] ...

ويقول القديس أوغسطينوس : [الخالق الزمان يولد فى زمان معين . هذا الذى بدون أمره الإلهى لا يجرى يوم فى مجراه ، قد اختار لنفسه يوماً لتجسده صانع الإنسان صار إنساناً ورضع من ثديى أمه ... صار جسداً لكى يُطَهّر نجاسات الجَسَد . من أجل هذا خرج العريس من خدره ، وابتهج مثل الجبّار يسرع فى طريقه (مزمور ١٨) ، لطيف كعريس وقوى كجبار ، محبوب ومرعب . هادىء

وعنيف جميل للصالحين وجاف للأشرار. فى حذره - أى فى أحشاء أمه العذراء اتحد لاهوته بناسوته. وهكذا صار الكلمة جسداً لأجلنا. وخرج من أحشاءها ليسكن بيننا، حتى إذا ما رجع إلى أبيه، يُعدّ لنا مكاناً نسكن فيه]... هذا ما كشفه الروح القدس لرجال الله القديسين الذين أحبوه، وفى اتضاع ومسكنة روحية سألوه أن يعلن لهم سر حبه الذى أظهره بتجسده، فكان أن أعطاهم الروح وأعطانا من خلالهم.

٢ - المسيح خادم الخلاص :

فى النقطة السابقة تأملنا فى تجسد ابن الله الكلمة. والآن نتقدم لنتأمله فى خدمته الكرازية مدة نحو ثلاثة سنوات وثلث... **ماذا فعل المسيح فى خدمته ؟**

لقد لخصّ الإنجيل المقدس عمله بالقول إنه **كان يجول يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلّط عليهم إبليس (أعمال الرسل ١٠ : ٣٨)... كان يدعو التعابى ليريحهم « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم »** (متى ١١ : ٢٨)... وكان عون من لا معين له. **لقد سأل المسيح مريض بيت حسدا وهو ملقى فى أحد اروقة بركة بيت حسدا « اتريد أن تبرأ ». فكانت إجابته : « ليس لى إنسان »... وحينئذ وهبه المسيح نعمة الشفاء**، دون ما حاجة إلى النزول إلى مياه البركة (يوحنا ٥)...

ولقد التقى المسيح أيضاً بأرملة حزينة لوفاة وحيدها. كان الجمع

يسير يحمل نعش ذلك الشاب متجهاً إلى القبر خارج مدينة نايين « فلما رآها تحنن عليها وقال لها لا تبكى . ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون . فقال أيها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم ، فدفعه إلى أمه » (لوقا ٧ : ١٢ - ١٥) ... نعم لقد أعاد الراحة إلى قلب تلك الأم الحزينة ...

لقد شفى المسيح أسقام السقماء ، وترفق بالخطاة وأحبهم ، وخفف من آلام المتألمين والمنبوذين ... والإنجيل المقدس ملىء بمواقف محبة المسيح للخطاة ... **يكفى أن نشير مجرد إشارة إلى موقفه مع المرأة التى أُمسكت فى ذات فعل الزنا واحضروها إليه** ... كانت حسب الناموس القديم تُقتل رجماً بالحجارة ... وإذ كشف للذين ساقوها إليه وشهروا بها خطاياهم دون أن يشهر بهم أو ينطق بكلمة واحدة ، انصرفوا واحد بعد الآخر وتركوا المرأة المتهمة بمفردها أمام المسيح . أما هو فقال لها : « يا إمرأة أين هم أولئك المشتكون عليك . أما دانك أحد . فقالت لا أحد يا سيد . فقال لها يسوع ولا أنا ادينك . إذهبى ولا تخطىء أيضاً » (يوحنا ٨ : ٣ - ١١) .

كان يجالس الخطاة والأشرار ، ولا يأبه لاتهامات معلمى اليهود الذين استنكروا مثل هذه المخالطة ، بل أعلن أن الأصحاح لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى (متى ٩ : ١٢) . **كانت يصنع خيراً فى السبت** ، فكان هذا إتهام آخر ضده ، إنه ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت . لكن المسيح له المجد علَّم أن الإنسان لم يُخلق لأجل السبت بل السبت لأجل الإنسان . أى أن الوصية الإلهية أعطيت خدمة للإنسان ، لا لكى يُستعبد

لها !! لقد ضم المسيح إليه المنبوذين فى المجتمع اليهودى ، وأحسن إلى مبغضيه والذين أساءوا إليه ... لقد إتسع قلبه فَوَسَعَ الجميع أبراراً وأشرار ، محبين ومبغضين ، مطيعين ومقاومين ... ومع كل ذلك تنكر له من أحسن إليهم ... كان بعلمه السابق يعلم مكايد اليهود وما يدبرونه له ، ومع ذلك ظل أميناً فى محبته ، وأكمل رسالته على الصليب ، بعد أن طلب الغفران لصالبيه . وهكذا قال : « قد أكمل » ، واحنى رأسه وأسلم روحه فى يدى أبيه السماوى .

كان الرب يسوع يعلم أن الذراع المفلوج الذى شفاه هو الذى سيلطمه ومع ذلك شفاه ... وأن اللسان الذى فكّ عقدته سيبصق عليه ويلعنه ويجدّف عليه ، ومع ذلكَ أبرأه ... وإن اليد اليابسة التى أعاد إليها القوة هى التى ستسمر المسامير فى يديه ورجليه الطاهرة ، ومع ذلك لم يتوان عن إبرائها ... كان يعلم هذا كله ، ومع ذلك كان أميناً فى إتمام الخلاص الذى جاء إلى العالم لأجله . كان يعمل كل ذلك بفرح ومسرة واحتمل الصليب مستهيناً بالخزى (عبرانيين ١٢ : ٢) ... ولعل كلمات يوحنا حبيب الرب تعبّر عن محبة المسيح فى خدمة الخلاص ، يقول « أما يسوع قبل عيد الفصح ، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب . إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم . أحبهم إلى المنتهى » (يوحنا ١٣ : ١) .

٣ـ قبول المسيح للآلام بإرداته حباً فى خلاص البشر :

لقد أحب السيد المسيح البشر وهم أعداء . وبينما كانوا يضمرون له

العداوة كان هو يحبهم و يسعى لخلاصهم ... يقول بولس الرسول « لأن الله بيّن محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا ... ونحن أعداء صولحنا مع الله بموت ابنه » (رومية ٥ : ٨ ، ١٠) . يقول القديس يوحنا ذهبي الفم بطريرك القسطنطينية : [على الصليب لم يعلن يسوع حبه لملائكة السمائيين أو الأبرار ، بل قدم ذاته حَمَلاً يُساق إلى الذبح فى صمتٍ وخُشوعٍ فدية عن كل العالم . لقد بذل ذاته لأجل من كسروا وصاياه ، وجدّفوا على إسمه ... قد يموت واحدٌ من أجل الصالح ، لكن أن يموت إبن الله القدوس بالجسد من أجل العصاة الخطاة ، فهذا حبٌ مَنْ يستطيع أن يُعبّر عنه ؟!!] .

والقديس أوغسطينوس تأمل أيضاً فى هذه النقطة وقال : [إن خلقة العالم لم تكلف الله شيئاً ، لأنه خلقه بكلمته . أما خلاص العالم فقد كلّفه أن ينزل من السماء ويحتمل الهزء والعار . وأخيراً يموت على الصليب لأجلنا] .

د ـ بركات الفداء :

وبركات الفداء الذى أتمه المسيح له المجد على الصليب كثيرة ، نذكر منها :

١ ـ التبنى والطبيعة الجديدة :

أول بركة من بركات الفداء هى التبنى ... و يُقصد بالتبنى أن البشر يصيرون بالإيمان أولاد الله بالمعمودية المقدسة ، وهكذا ينالون طبيعة

جديدة ... و يقول القديس بولس الرسول « لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة ، مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس **لننال التبنى . ثم بما أنكم أبناء** أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب . **إذاً لست بعد عبداً بل إبناً . وإن كنت إبناً فوارث لله بالمسيح** » (غلاطية ٤ : ٤ - ٧) . و يقول لأهل رومية « **لأنه الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه ، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين** » (رومية ٨ : ٢٩) .

أنظروا أيها الإخوة عظم العطية التى نلناها فى المسيح وبه ... بعد أن كنا عبيداً مستعبدين لإبليس ، بل أولاده (يوحنا ٨ : ٤٤) ، صرنا أبناء الله ، وورثة الله ، ووارثون مع المسيح (رومية ٨ : ١٧) ... بعد أن كنا أبناء الغضب ، صرنا أبناء الملكوت . بعد أن كنا محرومين من المجد السماوى ، صرنا مؤهلين له . بعد أن كنا أعداء لله صرنا أحباءه ، بل ولنا معه دالة من قبل ابنه يسوع المسيح ربنا ... **كل هذه البركات صارت لنا مجاناً بموت المسيح إبن الله من أجلنا .**

يفتخر البعض بحسبهم ونسبهم وقراباتهم الجسدية ... ونحن ألا يحق لنا أن نفتخر بنسبنا السماوى ونسبتنا إلى الله ذاته ؟! ... ألسنا أولاد الله بالحقيقة . وقد نلنا هذه البنوة بثمن غال « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى ، بفضة أو ذهب ... **بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح** » (بطرس الأولى ١ : ١٨ ، ١٩) ... **ومن قبل هذه البنوة صار لنا سلطان على كل الخليقة** « كل الذين قبلوه (المسيح) أعطاهم سلطاناً » (يوحنا ١ : ١٢) ... هذه وغيرها من

بركات الفداء . لكننا للأسف لا نفطن للنعمة التى « نحن فيها مقيمون » (رومية ٥ : ٢) ، وبالتالى استحقاقنا من قبل هذه النعمة المجانية ...

٢ ـ مفعول قيامة المسيح :

ومن بركات الفداء ما نلناه بقيامة المسيح المخلص الفادى . تلك البركات التى يصعب علينا أن نحدها ... قبل الفداء الذى أكمله المسيح بموته وقيامته ، كان مصير جميع البشر هو الهلاك الأبدى ، إذ كان الشيطان يقبض على روح كل إنسان يموت ... **لكن موت المسيح كان نيابة عن كافة البشر. لقد مات المسيح وقام . وحينما قام أقامنا معه « وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائقة باللطف علينا فى المسيح يسوع »** (أفسس ٢ : ٦ ، ٧) .

وبموت المسيح وقيامته صار البشر هيكلاً لروحه القدوس ... « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يُفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو» (كورنثوس الأولى ٣ : ١٦ ، ١٧) ... **وليس هذا فحسب ، بل لقد صار الإنسان فى المسيح الفادى مسكناً للثالوث** ... « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (يوحنا ١٤ : ٢١) ... « إن احبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا ١٤ : ٢٣) ... وإن كان الإنسان بالمسيح صار مسكناً للروح القدس فلنستمع من فم المسيح عن

بركات روح الله ... « أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ... المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم متى جاء ذاك روح الله، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتيه » (يوحنا ١٤ : ١٦ ، ٢٦ ؛ ١٦ : ١٣) .

٣ ـ الاتحاد بالمسيح والمجد الأبدى :

ومن بركات الفداء، الاتحاد بالمسيح والتمتع بالمجد الأبدى الذى سبق أن أعده الله لنا ... فى صلاة المسيح الوداعية يقول مناجياً الآب « لست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم، ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم إنك أرسلتنى . وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت فىَّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد . وليعلم العالم إنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى . **أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم** » (يوحنا ١٧ : ٢٠ ـ ٢٤) ...

أنظروا أيها الأخوة عظم المجد الذى ينتظر القديسين « يكونون معى حيث أكون أنا » ... وفى موضع آخر يقول الرب يسوع « أنا أمضى لأعدّ لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً » (يوحنا ١٤ : ٢ ، ٣) .

ما هذا المجد يارب الذى أعددته للتراب والرماد ، والمزدرى وغير الموجود ؟! ... لكن مبارك أنت يا من وهبتنا البنوة بيسوع المسيح ربنا ... قد يفتخر إنسان بصلته بشخصية كبيرة ، يجالسها و يتعامل معها ... لكن مهما سمت تلك الشخصية فى مكانتها ، فمن تكون إلى جانب الله نفسه ، الذى أنت تكلمه وتجالسه وترتمى فى أحضانه ؟! **إنه أبوك السماوى الذى أنعم عليك بالبنوة ... هذه البنوة التى لن نفقدها - حتى بانكارنا الإيمان وجحودنا ... فالله هو أبوك السماوى يدعوك إلى العودة إليه ، وسوف تجده فى إنتظارك مرحباً بك (مثال الإبن الضال - لوقا ١٥) ...**

كان الإمبرابطور قسطنطين الكبير هو أول ملوك الامبراطور ية الرومانية يؤمن بالمسيح و يرفع الإضطهاد عن الكنيسة . وسمع بالقديس أنطونيوس الكبير أب الرهبان ، فأرسل إليه ضابطاً و بعض الجند يحمل رسالة منه إلى الأنبا أنطونيوس يطلب بركته له ولأولاده ولمملكته ... فرح تلاميذ القديس أنطونيوس بالأمر إذ أحسوا أن شهرة أبيهم ومعلمهم قد بلغت مسامع الأمبراطور. **لكن المعلم والناسك الكبير حزن لأفكارهم ومشاعرهم الجسدانية ، وقال لهم : لماذا يُعد شرفاً أن إنساناً مثلى - مهما كان مركزه العالمى - يكتب إلىَّ ، وهوذا الله نتحدث معه كل يوم فى الصلاة ، ويكلمنا فى الكتب المقدسة** ... ورفض فى بادىء الأمر أن يرد على رسالة الامبراطور قسطنطين لولا أن أولاده اقنعوه بأنه أول من رفع الاضطهاد عن المسيحيين .

قيمة المحبة فى نظر الله :

ولعل من المفيد أن نتوقف قليلاً لنتحدث عن قيمة المحبة فى نظر الله ، لئلا يقلل أحد من شأن المحبة كمؤونة أساسية لطريق الأبدية .

إن كان الله محبة ، فلا شك أنه خلق الإنسان على صورته كشبهه أيضاً فى المحبة ... ولقد أظهر ملء محبته للبشر بخلاصهم « الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين ، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء » (رومية ٨ : ٣٢) ... **وإذ كان الله قد ضحى بابنه الوحيد الجنس حباً لنا ، نستطيع أن ندرك قيمة المحبة فى نظر الله** ... لقد كشف الرب يسوع عن مشاعره بخصوص المحبة حينما أوصانا أن نحبه من كل القلب والفكر والنفس والة ـ ...

لقد تحلى ملاك كنيسة أفسس بفضائل كثيرة ، لو وُصف بها إنسان لاعتبر قديساً ، ومع ذلك يعاتبه المسيح وينذره لأنه ترك محبته الأولى بقوله له « أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ... وقد أحتملت ولك صبر وتعبت من أجل إسمى ولم تكلّ . لكن **عندى عليك إنك تركت محبتك الأولى** » ... ثم يحذره من عاقبة فتور محبته بقوله « فاذكر من أين سقط وتب وأعمل الأعمال الأولى ، **وإلاّ فإنى آتيك عن قريب وازحزح منارتك من مكانها إن لم تتب** » (رؤيا ٢ : ١ ـ ٥) .

أيها الأخوة ، لا شىء يشبع قلب الله غير الحب ... الحب الطاهر الصادر من أعماق قلب الإنسان ... يقول الوحى الإلهى فى سفر نشيد

الأنشاد « **إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة يحتقر احتقاراً** » (نشيد ٨ : ٧) ... إن الله لا يريد منا سوى محبتنا له !!... ومن نكون نحن حتى يضع الله كل محبته وأشواقه فينا ... لكن الأب يحب إبنه ، ولو كان دميم الصورة ، لأنه يرى فيه شبهه ... هكذا ولأننا أولاد الله خلقنا على صورته فهو يحبنا ... **لذلك فإن مقابلة محبة الله لنا بفتور وأعراض ، تعتبر من جانبنا إهانة شديدة لجلاله الأقدس ...**

وثمة نقطة أخرى ، وهى أن **المسيح حبيب نفوسنا وعريسها يغار علينا ... إن القديس بولس الرسول يصور العاطفة بين المسيح والنفس البشرية بالعاطفة التى بين الخطيبين** « فإنى أغار عليكم غيرة الله ، لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (كورنثوس الثانية ١١ : ٢) ... والخطيب يغار على خطيبته حينما يراها معرضة عنه ، أو حينما يراها تهتم بغيره غير عابئة بمشاعره ، ولا تبادله حباً بحب !! **والمسيح هو عريس النفس البشرية** ، وهذا واضح فى مثل العشر عذارى اللائى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس (متى ٢٥ : ١ - ١٣) ... لقد قدم هذا العريس مهراً غالياً ، وهو ليس شيئاً آخر سوى دمه ...

لقد أنكر بطرس المسيح إنكاراً شديداً . لكنه ما أن التقت نظراته بنظرات المسيح فى بيت رئيس الكهنة - تلك النظرات التى كانت تفيض حباً حتى خرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً ... **التق السيد المسيح ببطرس بعد قيامته المجيدة عند شاطىء بحر طبرية وكان أول سؤال وجهه إليه** : « **يا سمعان بن يونا أتحبنى ؟** » - وكرر نفس هذا السؤال

ثلاث مرات ... إن قلب الله لا يشبعه سوى الحب ... ومن يكون الإنسان حتى يهتم الله به وبمحبته مثل هذا الاهتمام ؟! لكن شكراً لله الذى أعطانا نعمة محبته . **إنه ذاك الذى لم يستنكف أن يأخذ جسدنا الترابى ويتحد به ويدعو ذاته « ابن البشر » و « ابن الإنسان » .**

هكذا أيها الأخوة نرى أن المحبة هى العنصر الأول فى مؤونة الطريق إلى الله . إنها القوة الدافعة التى تدفعنا طوال الطريق كلما فترت همتنا ، أو خارت قوانا ، أو استولى علينا الملل ... إنها تنسى الإنسان التعب ، وتشدد عزمه فى الضيقات ... لننظر إلى الرسول بولس الذى وقد امتلأ قلبه بمحبة المسيح ، إستهان بكل الشدائد « مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف . كما هو مكتوب من أجلك نمات كل النهار . قد حسبنا مثل غنم للذبح . ولكننا فى هذه جميعها يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا . فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ... ولا رؤساء ولا قوات ... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رومية ٨ : ٣٥ - ٣٩) .

ثانياً - الاتضاع والمسكنة الروحية :

ننتقل إلى الكلام عن المؤونة الثانية ، وهى الاتضاع والمسكنة الروحية .

والاتضاع يا أحبائى هو طريق الصليب . ولقد طوّب المسيح له المجد المسكنة الروحية . والمسكنة الروحية هى عينها الاتضاع وإنكار الذات ... هذه كلها تسميات مختلفة لفضيلة واحدة ... طريق المسيحية هو

الطريق الضيق الكرب . قال رب المجد يسوع « إن أراد أحد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم و يتبعنى » (متى ١٦ : ٢٤) . **والاتضاع هو المعين الأول لحمل الصليب . بل لا نكون مبالغين إن قلنا عن الاتضاع إنه هو نفسه صليب !!** يقول رب المجد « من لا يحمل صليبه و يأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (لوقا ١٤ : ٢٧) .

إن حياة السيد المسيح كلها بالجسد هى تفسير حتّى على مستوى الواقع للاتضاع ... إن طريق الصليب الذى سلكه المسيح لم يبدأ بالجلجثة ، ولا بجثسيمانى ، ولكنه بدأ حقيقة منذ ميلاده ... ولذا فإن التمسك بالاتضاع والمسكنة الروحية إنما هو تشبيه بابن الله الذى « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فيلبى ٢ : ٧) ... من أجل هذا قال القديس باخوميوس أب الشركة الرهبانية [إذا رأيت إنساناً متواضع القلب طاهر ، فهذا أعظم من سائر المناظر ، لأنك بواسطته تشاهد الله الذى لا يُرى] .

حياة السيد المسيح كلها من المزود إلى الصليب هى إخلاء من الكرامة والمجد ... هى الاتضاع . ولولا هذا الاتضاع ما استطاع البشر أن يروا ابن الله . فالاتضاع هو الحلة التى لبسها الرب يسوع ليخفى بها لاهوته ، حينما أخذ جسداً وصار فى صورة عبد . ولولا ذلك ما استطعنا أن نراه . إذ من يستطيع أن يرى اللاهوت ؟! و بالتالى ما استطعنا أن نتمتع ببركات الخلاص ...

لماذا تعتبر المسكنة الروحية والاتضاع عوناً لنا فى طريقنا إلى الله ؟

لأن الإنسان الذى يسير فى طريق المسكنة الروحية والاتضاع إنكار الذات ، إنما يسير خلف سيده ومعلمه متتبعاً نفس آثاره فى طريق الصليب ... والاتضاع من شأنه أن يجذب الله إلينا ... يقول **القديس أوغسطينوس :** [إن الاتضاع يجتذب الله إليه . ومع أنه تعالى عالٍ . فإن اتضعت فإنه يتنازل إليك ، وإن إستكبرت فإنه يبتعد عنك نهائياً] . وقال أيضاً : [الكبرياء طردت الملائكة من السماء ، والاتضاع جعل ابن الله ينزل من السماء ليتجسد على الأرض . الكبرياء أخرجت آدم من الفردوس ، والاتضاع أدخل اللص إليه] .

إن الاتضاع هو سترة القديسين ولباسهم . لذا يقول القديس بولس الرسول إلى أهل كولوسى « **فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين** أحشاء رأفات ولطفاً **وتواضعاً** ووداعة وطول أناة » (كولوسى ٣ : ١٢) ... لاحظوا أيها الأخوة كلام الرسول « **البسوا تواضعاً** » ... لماذا وهل التواضع يُلبس ؟ نعم إنه هو رداء المسيح وكساؤه ... بالاتضاع يحرز الإنسان تقدماً فى حياته الروحية والاجتماعية أيضاً ... الا فلنذكر كلمات الرسول « **يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة ... اتضعوا قدام الرب فيرفعكم** » (يعقوب ٤ : ٦ ، ١٠) ... يقول القديس يوحنا الدرجى [إذا سمعت أن إنساناً ادرك فى زمان يسير أمراً كبيراً ، إما عدم الأوجاع أو عمل العجائب ، فاعلم إنه إنما بلغ ذلك بالاتضاع » ... ويقول مار إسحق [المواهب لا تُمنح من أجل الأعمال

ذاتها ، وإنما من أجل الاتضاع الذى عُملتَ به] .

الاتضاع يساعد الإنسان فى طريقه الى الله لأنه يرد **الإنسان** إلى وضعه الأول . فالكبرياء تباعد بين الإنسان والله ، والتواضع يجذب الله إلى الإنسان . ونحن نستطيع أن نلمس أثر الاتضاع حتى فى المعاملات الاجتماعية على المستوى المادى . فالناس بطبيعتهم ينفرون من المتكبر المتعجرف المعتدّ بذاته . وعلى عكس ذلك فإنهم ينجذبون إلى الإنسان المتضع ويميلون إلى معاونته ... لقد كانت الكبرياء سبباً فى طرد الإنسان من الفردوس ، والاتضاع يرد الإنسان و يعيده إليه .

ذكر عن أحد الآباء النساك الرهبان أنه أُعطى من الله موهبة إخراج الشياطين . فسألهم ذات مرة بِمَ يخرجون . أبالصيام ؟ قالوا لا ، نحن ما نأكل قط . عاد وسألهم أبالسهر ؟ قالوا نحن ما ننام ... سألهم أبترك العالم ؟ أجابوا نحن مسكننا فى الخرائب والقفار ... **أخيراً قال لهم فبماذا تخرجون ؟ قالوا لا شىء يخرجنا ، ولا شىء يقهرنا سوى الاتضاع .**

الإنسان المتضع ينكر نفسه ويخبىء نعمة الله التى فيه ... وحين يفعل ذلك تنمو فيه الفضيلة . مثل موسى الذى حينما ولد اخفته أمه ثلاثة أشهر ، وبهذه الطريقة استطاع أن يعيش و يكون له شأن عظيم فى المستقبل . هكذا أيضاً الإنسان الذى يتمسك بالتواضع و يستعين به على إخفاء نعم الله التى حباه إياها ، فإنه ينمو أكثر فى النعمة و يعطى و يزداد ...

ثالثاً - الصـــــبر :

الطريق إلى الله بقدر ما هو مريح للنفس وحلو ومعزى ويتفق مع طبيعة الإنسان المخلوق على صورة الله ، **لكننا لا ننكر أنه تكتنفه مصاعب وضيقات ومحاربات** ... وما حمل الصليب الذى أوصانا به رب المجد والذى أشرنا إليه ، سوى ضيقات الحياة التى تعرض طبيعياً للمؤمن وعلى أن يُعد ذاته لها ... هنا نذكر قول ربنا المبارك « فى العالم سيكون لكم ضيق » ... وإن كان هو يكمل هذه العبارة بالوعد « ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » ... لكن من المسلّم به ومن الواضح أن طريق الله محفوف بالضيقات والأعداء ومحارباتهم ... **لذا فالإنسان الذى إختار طريق الله ليسير فيه ، يلزمه أن يتزود بالصبر ...**

لقد أوصى السيد المسيح بالصبر كواسطة لأقتناء النفس « بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لوقا ٢١ : ١٩) ... « الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » (مرقس ١٣ : ١٣) . والرسول بولس يظهر للمؤمنين حاجتهم للصبر « لأنكم تحتاجون إلى الصبر ، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (عبرانيين ١٠ : ٢٦) .

ويمتدح السيد المسيح الصبر فى المؤمنين عامة والخدام بخاصة ، فيقول لملاك كنيسة أفسس وخادمها : « أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك » (رؤيا ٢ : ٢) ... ويقول لملاك كنيسة فيلادلفيا : « لأنك **حفظت كلمة صبرى** ، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتى على العالم كله ، لتجرب الساكنين على الأرض » (رؤيا ٣ :

١٠) ... وحينما أُعلنت الرؤيا ليوحنا بينما كان منفياً فى جزيرة بطمس كتب يقول « **أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة ، وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره** » (رؤيا ١ : ٩) ... ويكتب بولس الرسول إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس « صادقة هى الكلمة إنه إن كان قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه . **إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه** » (تيموثاوس الثانية ٢ : ١١ ، ١٢) .

إن الله نفسه مثـــال للصـــبر :

نستطيع أن نلمس ذلك فى إحتماله للخطاة والأشرار والمقاومين وهو يطيل أناته عليهم ... بل إن الناس الذين لا تربطهم صلة بهؤلاء الأشرار ، يندهشون كيف يصبر الله على مثل هؤلاء . **ولكن فيما يصبر الله على من نعتبرهم أشراراً ، يصبر علينا نحن أيضاً يا من نعتبر أنفسنا أبراراً !!** لا شك إننا ضمن المستفيدين من صبر الله وطول أناته ... ولولا صبر الله وطول أناته لحل بنا ما حل بسدوم عمورة وغيرهما من الشعوب ...

ونرى الصبر واضحاً فى حياة السيد المسيح بالجسد على الأرض ... فكم إحتمل من الأشرار والمقاومين ومن الكتبة والفريسيين ، والذين كانوا يتربصون به ، ويترصدون خطواته لكى يصطادوه بكلمة ... وكان يصبر عليهم رغم علمه بمكنونات قلوبهم وافكارهم ومقاصدهم الشريرة . لقد احتملهم فى صبر بل غفر لهم على الصليب : « اغفر لهم يا أبتاه » .

أيها الأخوة ، **أود أن أقول لكم إنه لا شىء من الفضائل الروحية يمكن أن يقتنيها الإنسان بدون صبر... ونفس الأمر نحتاجه فى أمور**

العالم. فالفلاح عليه بالصبر فى زراعته. يرويها بانتظام و ينقيها مما يصيبها من آفات، و يضع لها المخصبات إن إحتاجت. والتاجر يستعين بالصبر فى شئون تجارته. والطالب عليه بالصبر الكثير فى دراسته. عليه أن يواصل ليله بنهاره يغالب النعاس وحاجات الجسد ومتطلباته حتى يحقق ما يصبو إليه ... والمرأة كيف تصير أماً؟ إنها تجتاز مراحل الحمل بصبر. و بعد الحمل يأتى دور الوضع فدور تربية الطفل وهى ليست بالأمر الهين، حتى قيل فى امثلتنا الشعبية « تربية الأطفال زى مضغ الزلط ». إن الأم تصبر وتحتمل من أجل الثمرة الحلوة التى انجبتها ... **بالصبر نحن جميعاً ولدتنا امهاتنا، و بالصبر صرنا إلى ما نحن عليه.**

إن الإنسان الذى لا ير يد أن يصبر لا يمكنه أن يجنى ثمراً طيباً من أى نوع، وفى أى أمر... هكذا فى حياتنا الروحية، لا توجد فضيلة تقتنى بدون جهاد. ولله فى ذلك حكمة. فما يقتنيه الإنسان بسهولة و بدون تعب، سهون عليه التفر يط فيه.

إن الطريق طويل، ولا يخلو من المشاق، لذا يحتاج السائر فيه إلى الصبر الكثير. فى كل يوم تقابله محاربات من الشياطين ومن الناس ... محار بات فى الأفكار، ومحار بات حتى فى النوم ... لكن الإنسان المؤمن إنسان مجاهد، لا يلقى سلاحه أبداً، حتى حينما يأوى إلى فراشه للنوم ... فعروس النشيد تقول: « أنا نائمة وقلبى مستيقظ » (نشيد ٥ : ٢). والرسول بولس يوصينا « لنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا. ناظر ين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » (عبرانيين ١٢ : ١، ٢).

والسيد المسيح فى كلامه عن الزرع والأرض الجيدة يقول « والذى فى الأرض الجيدة هو الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها فى قلب جيد صالح ، **ويثمرون بالصبر** » (لوقا ٨ : ١٥) ... **فرغم أن الأرض جيدة ، والكلمة محفوظة فى قلب جيد صالح : لكنها لا تثمر إلاَّ بالصبر ...**

إن القديس بولس يدعو الله نفسه « **إله الصبر** » (رومية ١٥ : ٥) ... ولأهل تسالونيكى يقول « والرب يهدى قلوبكم إلى محبة الله وإلى **صبر المسيح** » (تسالونيكى الثانية ٣ : ٥) .

والقديس يعقوب يظهر عظم فضيلة الصبر وعاقبته الطيبة « ها نحن نطوب الصابرين . قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب » (يعقوب ٥ : ١١) .

وأخيراً يُظهر يوحنا فى رؤياه عاقبة الصبر والصابرين فى السماء ، فيقول « **هنا صبر القديسين وإيمانهم ... هنا صبر القديسين . هنا الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع** » (رؤيا ١٣ : ١٠ ؛ ١٤ : ١٢) ...

رفـــاق الطـــريق

- اهمية الرفقة بصفة عامة .
- الرفقة الطيبة وأمثلة لها .
- الرفقة الرديئة وخطورتها .
- من هم رفقاؤنا فى الطريق إلى الله :

عمانوئيل - الروح القدس . الضمير - الخلائق الروحية . الشـــهداء والقديســـون .

أهمية الرفقة بصفة عامة :

نحن نسير فى الطريق إلى الله . ولا بد وأن يكون معنا رفاق فى هذا الطريق ... فالإنسان اجتماعى بطبيعته ، ينزع إلى الرفقة ، ويميل إلى التآخى والتعاون ... ونحن نرى الله منذ البداية - وهو خالق الإنسان ويعرف ما فيه - يقول « **ليس جيداً أن يكون آدم وحده ، فأصنع له معيناً نظيره** » (تكوين ٢ : ١٨) ... والسيد المسيح له المجد حينما اختار السبعين رسولاً « أرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتى » (لوقا ١٠ : ١) .

هذا الموضوع - موضوع الرفقة - على جانب كبير من الأهمية ، خاصة بالنسبة للإنسان المبتدىء فى حياته الروحية ، أو من لم يبدأ بعد ... ولست مبالغاً إن قلت أن الرفقة والصداقة تسبقان من جهة الأهمية للمبتدئين ، الصلاة والكتاب المقدس وبعض الممارسات الروحية ، فالرفيق الصالح - بتأثير محبته - يمكنه أن يجتذب صديقه ، ويقوده إلى طريق الله ... وعلى العكس من ذلك تماماً ، فإن الرفقة الرديئة تخرج الإنسان الطيب عن دائرة الحياة الروحية ... ولا شك أننا جميعاً نعى فى آذهاننا أمثلة كثيرة لصدق وصحة ما نقول ... وإذا كان الأمر بهذه الدرجة من الخطورة والأهمية ، **فما هى أهمية الرفقة الطيبة ؟**... نتحدث أولاً عن الرفقة الطيبة ، وبعدها ننتقل للكلام عن الرفقة السيئة ، أو ما نسميه المعاشرات الرديئة .

الرفقـــة الطـــيبة :

تكمن أهمية الرفقة الطيبة فى أن الإنسان حينما يحب إنساناً آخر حباً عميقاً فإنه يحاول أن يقلّده أو يتشبه به . **فالمحبة دائماً تعمل على توحيد المحب والمحبوب ... فالتلميذ الذى يُعجب بأستاذه** ، يحاول أن يقلّده فى بعض ممارساته ، كطريقة مشيه ، وحركات يديه أثناء الكلام ، ووقفته ، وكلامه وما إلى ذلك . والسبب أنه معجب بهذا الإنسان ، لذا فهو يحاكيه أو يقلده ... **مثل هذا الإنسان لو كان له صديق يحبه محبة عميقة ، فإنه يحاول أن يتشبه به ويحاكيه فى أمور كثيرة** ... ونلاحظ إن هذه الظاهرة ، تتضح أكثر فى حالة الفتيات ... فحينما تحب فتاة فتاة أخرى ، فإنها تحاول محاكاتها فيما ترتديه من ثياب (فى اللون والتفصيل) ، وفى طريقة تصفيف شعرها وهكذا ...

وهل لنا أن نقول فى هذا المقام ، إن الله من فرط محبته لنا أخذ جسداً مثلنا !! ومن الناحية الأخرى فإن القديسين من محبتهم للمسيح ، حاولوا أن يتمثلوا به فى كمالاته . ولا عجب فقد ترك المسيح مثالاً لكى نتبع خطواته (بطرس الأولى ٢ : ٢١) ... وبذا يصبح هؤلاء القديسين « مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين اخوة كثيرين » (رومية ٨ : ٢٩) ... والمشابهة هنا هى فى السلوك والتقوى والقداسة ، وجميع الكمالات النسبية ....

أمثـــلة للرفقـــة الطـــيبة :

فبطرس الرسول فيما كان بين التلاميذ نراه متشدداً متشجعاً ، سبّاقاً للكلام بحمية ، معبراً عن رأى بقية إخوته الرسل ، على نحو ما فعل فى الرد على سؤال السيد المسيح : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » قائلاً « أنت هو المسيح إبن الله الحى » (متى ١٦ : ١٣- ١٦) ... **وعلى العكس من ذلك نراه فى دار قيافا رئيس كهنة اليهود ، ضعيفاً ، خائفاً ، جباناً رعديداً ... ولعل السبب إنه كان جالساً وسط الخدم والجوارى .** ووصل به الضعف أنه أنكر سيده المسيح ، ولعنه وجدف عليه ، وأقسم أنه لا يعرفه !!... ومن مشاهدتنا فى الحياة ، نرى الفحم المشتعل ، حينما نضيف إليه فحماً غير مشتعل ، فإنه يشعله . هكذا الإنسان ، فإنه عن طريق الرفقة الطيبة يستنير ويحاول التشبه بالرفاق الصالحين .

إن أبناء نوح البار وإمرأته ونساء بنيه نجوا من الطوفان بسبب رفقتهم لذلك البار ، بينما العالم القديم كله الذى إنغمس فى الشر والرذيلة هلك بالطوفان ... **ولوط إبن أخى إبراهيم طالما كان فى صحبة إبراهيم ، كان محفوظاً وعاش باراً ، وحصل على ثروة عظيمة ، لكنه لما سكن بين الوثنيين ، خسر أمواله ، لولا أن إبراهيم استردها له (تكوين ١٣ ، ١٤) .. ولما سكن وسط أهل سدوم وعمورة الأشرار ، كاد يفقد كل شىء ، لولا أن الرب الزمه بالخروج منها ... ولابان خال يعقوب أبو الأسباط ،** باركه الرب بسبب نزول يعقوب عنده . حتى أن

يعقوب حينما أراد أن ينصرف بنسائه وأولاده واستأذن لابان فى الانصراف ، تمنع لابان وقال له : « ليتنى أجد نعمة فى عينيك . قد تفاءلت فباركنى الرب بسببك » (تكوين ٣٠ : ٢٧) ...

وهل ننسى البركة الكبيرة التى حلّت فى بيت فوطيفار المصرى الوثنى بسبب يوسف الصديق ؟! إن الكتاب المقدس يركز تركيزاً واضحاً ، ويُلقى ضوءً كبيراً على هذا الأمر ، ويهتم بأن يسجله ... يقول « وكان من حين وكلّه فوطيفار على بيته ، وعلى كل ما كان له ، **أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف . وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل** » (تكوين ٣٩) ... ولذلك فإن العاقل الحكيم ، يسعى للالتصاق بالأخيار والأبرار والاتقياء والقديسين .

نقرأ عن القديس بولس الرسول أثناء سفره بالبحر كأسير مقيد بالسلاسل ومرسل لروما للمحاكمة هناك ـ أن البحر هاج بعنف على السفينة حتى تحطمت ، لكن واحداً من المسافرين معه لم يُصب بأذى ، وقال بولس آنذاك للمسافرين معه مطمئناً إياهم : « وقف بى هذه الليلة ملاك الإله الذى أنا له والذى أعبده قائلاً لا تَخَفْ يا بولس . ينبغى لك أن تقف أمام قيصر . **وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك** » (أعمال الرسل ٢٧ : ٢٤) ...

وما أكثر ما ورد فى الكتاب المقدس خاصة فى الأسفار الحكمية عن هذه النقطة التى نعالجها بقول سليمان الحكيم « الأخ امنع من مدينة حصينة » (أمثال ١٨ : ١٩) ... « المكثر الأصحاب يخرّب نفسه .

ولكن يوجد محب الزق من الأخ » (أمثال ١٨ : ٢٤) ... « **المساير الحكماء يصير حكيماً ، ورفيق الجهّال يُضَرّ** » (أمثال ١٣ : ٢٠) ... « إثنان خير من واحد ... لأن إن وقع احدهما يقيمه رفيقه . وو يل لمن هو وحده إن وقع ، إذ ليس ثانٍ ليقيمه » (الجامعة ٤ : ٩ ، ١٠) ... **ويقول يشوع بن سيراخ :** « لا تبدل صديقاً بشىء زمنى ، ولا أخاً خالصاً بذهب ابر يز » (سيراخ ٧ : ١٨) ... « **الصديق الأمين لا يعادله شىء** ، وصلاحه لا موازن له » (سيراخ ٦ : ١٥) ... كل هذا عن الرفقة الطيبة ...

الرفقـــة الر يئة وخطورتها :

ما أكثر المصائب والكوارث التى تحل بأولادنا وبناتنا بسبب المعاشرات الرديئة والرفقة السيئة ... يقول القديس **بولس الرسول** بصر يح العبارة « **لا تضلوا فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة** » (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٣) ... والإنسان يعجب حينما يلاحظ أن برتقالة واحدة أو تفاحة واحدة فاسدة قد أفسدت كمية كبيرة فى سلة أو قفص ... **وأرى أن أتوقف هنا لأناقش موضوع الوسط واهميته ...**

أهميــة الوســط :

موضوع الوسط موضوع فى غاية الأهمية ، لذا ينبغى على الإنسان أن يتخير الوسط الذى يود أن يعيش فيه ... هناك تشبيه كنا نسوقه للصغار **الغواص الذى يغوص فى أعماق البحار** ليقطع اسفنجاً أو بحثاً عن لآلئ نفيسة أو غير ذلك ، يحمل فوقه آلاف ـ إن لم يكن ملايين ـ

الامتار المكعبة من الماء دون أن يحس بثقلها . بينما نفس هذا الإنسان ، بعد أن يخرج من الماء ، ينوء تحت ثقل صفيحة من الماء يحملها ، و يلحقه التعب ... **أما تفسير ذلك ،** فهو أن هذا الإنسان فى الحالة الأولى كان الوسط - وهو الماء - يحمله . لكن بعد أن ترك هذا الوسط وخرج إلى اليابسة ، أصبح يتعب لحمل أى ثقل ... هكذا الإنسان أيضاً ، إن وجد فى وسط طيب ، فإنه حتى ولو حاق به ضعف روحى أو فتور لأى سبب - فإن الوسط الطيب الذى يحيا فيه يحمله إلى أن تعبر فترة الفتور ... أما إذا ادركته حالة الضعف والفتور وهو بعيد عن الوسط الطيب ، فالويل له ... إن النتيجة فى هذه الحالة غير مطمئنة على الاطلاق .

الإنسان الحكيم العاقل ، الذى يسعى طلباً لخلاص نفسه ، يلق بذاته فى الأوساط الجيدة . فإن ذلك يشجعه على الاستمرار فى ممارساته الروحية العامة كحضور القداسات والاجتماعات الروحية ، فضلاً عن ممارساته الخاصة كالصلاة والصوم والقراءة الروحية والاعتراف والتناول ... وكلما كثرت الممارسات الروحية ، كلما كان ذلك أدعى إلى الطمأنينة على مثل هذا الإنسان وسط تيارات العالم العنيفة خاصة فى هذه الأيام ... **إن خير تشبيه نسوقه على ذلك هو الخيمة المشدودة إلى أوتاد .** فكلما كان عدد الأوتاد أكبر ، كلما كان ذلك عاملاً على ثباتها . لكن إن قلت أوتادها يضعف ثباتها ، وتأخذ فى اللخلخة . ويخشى إن هبت ريح شديدة ، أو عاصفة هوجاء أن تقتلع هذه الخيمة بسهولة ...

هذا الكلام لا أسوقه للمبتدئين فى حياتهم الروحية ، لكنى أوجهه للجميع . فليس فينا قوى لا يخشى السقوط « من يظن أنه

قائم ، فلينظر أن لا يسقط » (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٢) . إن قائل هذه الكلمات القدسية هو بولس الرسول ، الذى رأى إعلانات إلهية كثيرة ، واختطف إلى السماء الثالثة (الفردوس) ، ورأى أموراً لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها . ولكنه أعطى شوكة فى جسده لئلا يرتفع من فرط الاعلانات حسب تعبيره (كورنثوس الثانية ١٢ : ٢-٧) ... و يقول هذا الرسول أيضاً « لا تستكبر بل خَفْ » (رومية ١١ : ٢٠) ... « أقمع جسدى واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٧) ... **يا للعجب !!... ايخاف هذا الرسول العظيم الذى امتلأ قلبه بمحبة سيده ، وملأ الدنيا كرازة وتبشيراً ، أيخاف على خلاصه الأبدى ، ولذا فإنه يقمع جسده و يستعبده ؟!!**

موضوع الوسط فى غاية الأهمية كما رأينا ... والإنسان كائن يؤثر و يتأثر... وهكذا فإن الإنسان إن وجد فى وسط صالح فسوف يتأثر بكل ما فى هذا الوسط . وأنا هنا لا أقصد تأثره من شخصية معينة ، لكنه يتأثر بأمور قد لا ندركها نحن ... فقد يرى فى الكنيسة إنساناً عابداً يقف فى خشوع ، فيتأثر من منظره و يحترّ قلبه فيه من مجرد رؤ يته ... وقد يرى آخر يسجد فى وقار وإنسحاق أمام هيكل الله فيُنخس قلبه فى داخله ... إن هذا الذى أقوله ليس كلاماً نظر ياً ، لكنه حدث ويحدث مع أشخاص أنا أعرفهم .

هناك أمثلة كثيرة فى حياتنا العملية نراها ونلمسها ، ويمكن بالتأمل فيها الاستفادة منها ... فمن يصافح إنساناً غير نظيف اليد ، فإن

يده التى يصافح بها تتسخ ... هكذا من يلتصق بإنسان شرير فإنه بالضرورة يتأثر به .

لاحظت أثناء قيامى بالتقديس - ومازلت أمارسه حتى الآن - وبعد أن أنتهى من الكتابة بالطباشير على السبورة ، **أن ذرات الطباشير الدقيقة ، تكون قد تساقطت على ملابسى السواء والعمامة واللحية ورموش العينين** ، على الرغم من أن الإنسان لا يكون قد أقترب بيده المبيضة بالطباشير إلى شىء مما ذكرت ... لكن الإنسان دون أن يحس أو يشعر تغطيه ذرات الطباشير البيضاء !! ... **هكذا أيضاً من يتواجد فى وسط شرير ، فإنه سيتأثر بالشر دون أن يحس** ... ولا يحاول أحد أن يغالط نفسه مدعياً خلاف ذلك . فهذه خبرتنا فى الحياة العملية .

مثال آخر للتدليل على صدق ما نقول **الإنسان الذى يسير على قدميه فى طريق مُتْربة** ، لا بد وأن تتغطى ساقاه بذرات التراب ، على الرغم من أنهما مغطيان بشراب سميك وثياب أخرى ... **إن من يطلب إنساناً على خلق من بين عشرة الأشرار ، كمن يطلب ناراً فى ماء ، أو ثماراً فى شوك .**

من الأمور المسلّم بها أن اخلاقيات الانسان يمكن معرفتها إذا عرف أصدقاؤه ... لماذا ؟ لأنه لا يمكن أبداً أن يجتمع ضدان كالماء والنار ... يقول المثل الإنجليزى : « الطيور التى لها نفس نوع الريش تطير معاً » (الطيور على أشكالها تقع) ... فلا يحدث اطلاقاً أن حماماً أو يماماً مثلاً يطير وسط الغربان والحدايات أو طيور جارحة أخرى ...

أفاضل الناس يتصادقون معاً ، وفئات الأشرار تتجمع معاً وتكون شلل ومجموعات . فهناك جماعة السكيرين ، واللصوص ، والزناة ، والمجرمين ... إلخ ... أيها الإخوة ، إحترسوا لأنفسكم . فلا يوجد مرض يمكن أن يصاب الإنسان بعدواه أكثر وأسهل وأسرع من الشر !!

حينما يزور إنسان مريضاً مصاباً بمرض يسهل انتقال عدواه ، فحالما تنتهى الزيارة ويعود إلى بيته ، يسرع إلى غسل يديه جيداً . وقد يطهرها بالمطهرات الطبية ، لأن يخشى العدوى ... **أما عدوى الخطية والشر ، فلا يلتفت أحد إليها ، ولا يأبه أحد بالاحتراس منها ...**

إن مداومة الاتصال بالأشرار - حتى لو لم تشاركهم اخطاءهم وسلوكهم ، من شأنه أن يجعل محبتنا لله تبرد وتفتر ... ومن يريد أن تظل حرارته الروحية ملتهبة ، عليه أن يتواجد باستمرار وبانتظام فى الأجواء والأوساط التى تعطيه دفعات روحية ... قال موسى النبى بعد الخطية التى سقط فيها قورح وداثان وإبيرآم واستهانتهم بالكهنوت : « فاعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البقاة . ولا تمسوا شيئاً مما هم ، لئلا تهلكون بجميع خطاياهم » (العدد ١٦ : ٢٦) .

والله منذ البداية سلك بهذه الخطة من جهة عزل الأبرار عن الأشرار ، ليُعدّ لنفسه شعباً خاصاً تتوفر فيهم صفات وقيم معينة ... فحينما يدعو الله إبراهيم فى بداية دعوته ، ودعاه إلى الاعتزال عن قومه ، وأن يخرج من أرضه وعشيرته وبيت أبيه ، بينما كان ساكناً فى اور الكلدانيين ... كانت الدعوة هكذا ... « **أخرج من أرضك ومن**

عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك ، فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم إسمك وتكون بركة . وأبارك مباركك ولاعنك العنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تكوين ١٢ : ١ - ٣) ... وواضح أن خطة الله فى اعداد إبراهيم كانت هى أن يترك الكل ، وأن يسحب إبراهيم من هذا الوسط ... أما النتيجة « أجعلك أمة عظيمة » .

ووجهت الدعوة إلى موسى أن يخرج بالشعب من أرض مصر ... ووجهت الدعوة إلى شعب إسرائيل أن يعودوا إلى أرض آبائهم . وكان سبيهم إلى بلاد غريبة راجعاً إلى إنحرافهم وتركهم عبادة الله الحى ...

وقد ترددت أصداء هذه الأحداث فى العهد الجديد ، فيكتب بولس الرسول إلى أهل كورنثوس موصياً « اخرجوا من بينهم واعتزلوا يقول الرب . ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون لكم أباً . وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شىء » (كورنثوس الثانية ٦ : ١٧ ، ١٨) ... وحتى فى سفر الرؤيا - ذلك السفر النبوى - نجد هذا الإتجاه واضحاً وممدوحاً . فبعد أن يتكلم يوحنا عن سقوط بابل العظيمة رمز الشر يقول « ثم سمعت صوتاً آخر من السماء قائلاً : اخرجوا منها يا شعبى ، لئلا تشتركوا فى خطاياها ، ولئلا تأخذوا من ضرباتها » (رؤيا ١٩ : ٤) .

يقول الحكيم « لا تستصحب غضوباً . ومع رجل ساقط لا تجىء ، لئلا تألف طرقه وتأخذ شركاً لنفسك » (أمثال ٢٢ : ٢٤ ، ٢٥) ... « لا تدخل فى سبيل الأشرار، ولا تَسِرْ فى طريق الأثمة .

تنكب عنه ، لا تمرّ به . حد عنه واعبر ، لأنهم لا ينامون إن لم يفعلوا سوءً . و ينزع نومهم إن لم يُسقطوا أحداً . لأنهم يطعمون خبز الشر ، و يشربون خمر الظلم . أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد و ينير إلى النهار الكامل . أما طريق الأشرار فكالظلام ، لا يعلمون ما يعثرون به » (أمثال ٤ : ١٤ - ١٩) .

يقول داود النبي والمرتل فى فاتحة مزاميره : « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة المنافقين ، وفى طريق الأشرار لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس . لكن فى ناموس الرب مسرته . وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً . يكون الشجرة المغروسة على مجارى المياه ، التى تعطى ثمرها فى حينه ، وورقها لا ينتثر. ليس كذلك المنافقون - ليس كذلك - لكنهم كالهباء الذى تذريه الريح عن وجه الأرض ، وعن وجه الأرض كلها . فلهذا لا يقوم المنافقون فى الدينونة ، ولا الخطاة فى مجمع الصديقين » (المزمور الأول) .

هكذا يبدأ داود ذو القلب النقى تسابيحه ... ونلاحظ هنا أنه يمتدح الإنسان الذى امتنع بارادته عن ثلاثة أمور تؤدى إلى بعضها : لم يسلك - لم يقف - لم يجلس مع الخطاة والأشرار... وهنا نرى التحذير ليس عن السلوك أو المجالسة ، بل عن مجرد الوقوف !! ونلاحظ أيضاً أن هذه الثلاثة غالباً ما تؤدى إلى بعضها فالسلوك قد يؤدى الى الوقوف . وهذا يؤدى بدوره إلى الجلوس نتيجة الارتياح يقول معلمنا القديس بولس الرسول « إن كان أحدٌ مدعواً أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً لا تخالطوه ، ولا تؤاكلوا مثل هذا » (كورنثوس الأولى ٥ : ١١) .

احترسوا لأنفسكم من المعاشرات الرديئة ، والخلطة السيئة ... ما أكثر الملاججة والمناقشة التى تحدث مثلاً بين إبن مستهتر ووالديه اللذين يحذرانه من الرفقة الرديئة . يقول الابن الجاهل المستهتر حينما يُحذر من مصاحبة المنحرفين « ماذا يستطيع هؤلاء أن يفعلوا بى . هل حينما أكون معهم ، هل سيغصبونى على فعل الشر . أنا عارف مصلحتى كويس ، ولا يمكن أن أكون مثلهم . هذه مجرد فرفشة !! » ... ما أجهل وما اتعس هذا الابن الذى لا يفهم الحكمة التى اَمْلَتْ على الحكيم أن يقول « **الذكى يُبْصر الشر فيتوارى . الاغبياء يعبرون فيُعاقبون** » (أمثال ٢٧ : ١٢) . وهذا هو عين ما يقوله المثل الشعبى « **إبعد عن الشر وغنى له** » !!

وفضلاً عن الأضرار الروحية والادبية التى قد تصيب الإنسان نتيجة الرفقة الرديئة والمعاشرة السيئة ، فإن مثل هذه الرفقة لن تستمر ولن تدوم ، لأنها رفقة أنانية ، بنيت على أساس المنفعة الشخصية ... أما الرفقة والصداقة التى أساسها الله فهى ثابتة ، ولا يستطيع الزمان ولا المسافات الشاسعة أن تلاشها ... ولعل هذا يذكرنا **بغراب نوح** ... فلقد اطلق نوح الغراب أول مرة ، فلم يجد جيفة يأكلها عاد ثانية إلى الفلك ، إذا كانت المياه تغطى كل شىء حتى قمم الجبال العالية ... ثم عاد نوح واطلق الغراب ثانية فلم يَعُدْ إليه ، لأنه وجد ما يقتات به ، ولم يحفظ عشرة نوح الذى عاله مائة وخمسين يوماً داخل الفلك !! ... **يقول إبن سيراخ : « فى زمن الخير لا يعرف الصديق .**

وفى أوان البلية يُعرف العدو» .

إن الشجرة وهى محملة ثمراً يهرع إليها الناس يطلبون ثمرها ، وحين انقطاع الثمر منها ، لا احد يقصدها ... نقرأ عن اورشليم أنه فى زمان عزّها ومجدها ، كان جيرانها يتوددون إليها و يسالمونها . ولكن بعد خرابها ، تبدل كل شىء ، حتى رثاها أرميا النبى بدموع غزيرة قائلاً عنها « كيف صارت كأرملة العظيمة فى الأمم السيدة فى البلدان صارت تحت الجزية . تبكى فى الليل بكاءً ، ودموعها على خدّيها . ليس لها مُعَزٍ من كل محبيها . كل أصحابها غدروا بها صاروا لها أعداء » (مراثى ١ : ١ ، ٢) .

إن كل ما سبق من كلام كان عن أهمية الرفقة وخطورتها ، سواء الرفقة الجيدة أو الرفقة السيئة ... والآن ننتقل للكلام عن مَنْ هم رفقاؤنا فى الطريق إلى الله . وهذا هو بيت القصيد ، الذى من أجله كان موضوع هذا المساء .

من هم رفقاؤنا فى الطريق إلى الله ؟

هناك رفاق نقضى معهم مسيرة الطريق إلى الله ، فنستمتع برفقتهم ونَسْتَلْهِمْ مشورتهم ، ويُهَوّنون علينا وحشة الطريق ووعورته فى بعض الأحيان ... ولعل أول وأعظم رفيق هو رب المجد يسوع المسيح :

١ ـ السيد المســيح :

مثال من العهد القديم : لدينا صورة باهتة أوردها كتاب العهد القديم عن الرفقة مع الله ، قريبة فى زمانها من بداية الخليقة ـ **تلك هى شخصية أخنوخ** ... ويسجل سفر التكوين تلك الرفقة على النحو التالى : « وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح ... **وسار أخنوخ مع الله** ، ولم يوجد لأن الله أخذه » (تكوين ٥ : ٢١ ـ ٢٤) . تعبير جميل « سار أخنوخ مع الله » ... المسيح هو نعم الرفيق فى الطريق . هو الذى تنبأ عنه الحكيم قديماً بقوله « **يوجد محب الزق من الأخ** » (أمثال ١٨ : ٢٤) . **عمانوئيل ـ الله معنا :** منذ البداية ، والسيد المسيح له المجد يُعلن عن هذه الرغبة ـ أن يرافقنا فى طريقنا ... وقد عبرّ عن ذلك بالاسم الذى اتخذه لنفسه « **عمانوئيل** »ـ ومعنى هذا الإسم (**الله معنا**) ... **لقد اختار هذا الاسم ليعبر عن رغبته فى أن يكون معناً . وهو بالفعل معنا ، لكننا فى بعض الأحيان لا نحس بوجوده معنا ، لأننا فى ذلك الوقت لا نكون معه ... « إن عدم أمانتنا لا تبطل أمانة الله . بل إن كنا غير امناء فهو وحده يبقى أميناً إلى النهاية لن ينكر نفسه » (رومية ٣) ... إن ربنا يسوع المسيح يريد أن يرافقنا فى طريقنا ، إن أردنا نحن !! ...**

تعجبنى الترنيمة التى مطلعها :

يا ترى أى صديق مثل فادينا الحبيب
يحمل الأثقال عنا وكذا الإثمَّ المُذيب

نعم هو صديق ، بل أفضل من كل الأصدقاء . ألم يخاطب تلاميذه فى بعض الأحيان بقوله « يا أصدقائى » ؟

إن محبة المسيح العجيبة والمُفرطة نزعت عنا كل خوف ... انظروا إلى ما حدث قديماً وقارنوه بما حدث فى ملء الزمان فى العهد الجديد ، لتعلموا كيف أن محبة الله هى بالحقيقية فائقة المعرفة ... لقد حلّ الله بمجده فوق جبل سيناء فى زمان موسى حينما أراد أن يكلم شعب إسرائيل . وكان الجبل يُدخن لأن الله نار آكلة . وكان المنظر مُخيفاً جداً . **وقد عبر بولس الرسول عن ذلك بلسانه البليغ وهو يعقد المقارنة بين العهد القديم والعهد الجديد** فقال « لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار ، إلى ضباب وظلام وزوبعة ، وهتاف بوق وصوت كلمات ، استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة . لأنهم لم يحتملوا ما أمر به ، وان مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم . **وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد . بل قد اتيتم إلى جبل صهيون ، وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية ، إلى ربوات هم محفل ملائكة . وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات ، وإلى الله ديّانَ الجميع ، وإلى أرواح أبرار مكملين ، وإلى وسيط العهد الجديد**

يسوع ، وإلى دم رشّ يتكلم أفضل من هابيل » (عبرانيين ١٢ : ١٨ - ٢٤) .

وأود أن اعلق بكلمة بسيطة على الفقرة الأخيرة التى جاءت فى كلام الرسول بولس « بل قد أتيتم ... إلى وسيط العهد الجديد يسوع ، إلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل » ... **ماذا يعنى الرسول بأن دم المسيح المرشوش يتكلم أفضل من هابيل ؟ كان دم هابيل يصرخ طالباً الانتقام من قاين . هكذا قال الله لقاين حين حاول إنكار قتله لأخيه « دم أخيك هابيل صارخ إلىَّ من الأرض » ... أما دم المسيح فكان يصرخ على الصليب طالباً الغفران « اغفر لهم يا أبتاه ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون »** ... هذه هى محبة المسيح الغامرة الغافرة ... لقد كانت آخر كلماته قبيل صعوده إلى السماء : « ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) ... « أنا معكم » ... فعلى الرغم من ارتفاعه إلى السماء ، وعدم رؤيتنا له فى الجسد ، لكنه معنا ... إنه معنا دائماً ، لأنه « عمانوئيل - الله معنا » ...

خذوه إذن أيها الأخوة معكم فى طريقكم ... ضعوا أيديكم فى يده ... **هناك اختبار أو تدريب لطيف** ... تخيل يدك دائماً فى يد المسيح . وحاول أن تتحسسها فى كل عمل تعمله ، وفى كل طريق تسلكه ... فإذا احسست أن يد المسيح المبارك مازالت فى يدك ، فثق أن هذا العمل الذى تعمله ، والطريق الذى تسلكه جيد ومقبول من الرب ... أما إذا احسست أن المسيح سحب يده من يدك ، فاعلم أنه لا يرضى على ما تعلمه ، وإنه يأبى السير معك فى ذلك الطريق .

مثال من العهد الجديد : ليدينا نموذج لرفقة السيد المسيح فى الطريق هو الخاص بتلميذى عمواس الذى أورده القديس لوقا فى بشارته ، يقول « وإذا إثنان منهم (التلاميذ) كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس . وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث . **وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما. ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته** . فقال لهما ما هذا الكلام الذى تتطارحان وانتما ما شيان عابسين » ... وانتهى الأمر بدخوله معهما إلى المنزل فى قريتهما ... « واتكأ معهما ، وأخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما . فانفتحت اعينهما وعرفاه ، ثم اختفى عنهما . **فقال بعضهما لبعض ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان بكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب** » (لوقا ٢٤ : ١٣ - ٣٢) .

أنظروا أيها الأخوة وتأملوا ما قد كُتب عمن يسير الرب يسوع معه ويرافقه فى الطريق : « ألم يكن قلبنا مُلتهباً فينا ، إذ كان يكلمنا فى الطريق » ... **واهمس فى آذانكم وأقول لكم احترسوا لئلا يكون المسيح يسير معكم فى الطريق ولا تعرفونه لأن عيونكم تكون قد امسكت عن معرفته ... لتكن أفكاركم فى السماويات أينما تسيرون متوقعين رفقة الرب لكم أينما كنتم تسيرون ، وحيثما تحلّون ...**

إن كنا قد تكلمنا عن نموذج لرفقة المسيح فى الطريق وبركاتها ، فأرجو ألا نأخذ الأمر بخفة وسذاجة ، ونظن أن الطريق هو الشارع الذى نسير فيه ... لست أقصد هذا ، بل أقصد الحياة كلها ... كل فى مكانه وعمله وموضعه ووضعه ... السيدة فى بيتها وهى تؤدى عملها ، ليكن عقلها

منشغل بالإلهيات ... الطلبة وهم يدرسون دراساتهم فى قاعات الدرس ، يستطيعون أن يكونوا منشغلين بمحبة الله بقلوبهم دون أن يُعطلهم ذلك عن دراساتهم ... الموظف وهو يؤدى عمله ، العامل وهو يعمل عمله ، الفلاح وسط حقله ، التاجر وهو يمارس تجارته ... ليتنا نعيش هذا الاختبار العميق الجميل ...

إن اعتراضتنا صعاب أو ضيقات فى الطريق ، فستكون سهلة هيّنة طالما هو سائر معنا ... ولنا فى ذلك تعزية من الثلاثة فتية القديسين الذين القاهم نبوخذنصر ملك بابل فى أتون نارٍ، بعد أن أمر بتحميته سبعة أضعاف ... فالأشخاص الذين ألقوا هؤلاء الفتية اصابتهم النار. أما الثلاثة فتية فكانت نار الأتون برداً وسلاماً عليهم ... كان الفتية مقيدين ، فأحرقت النار قيودهم وحلّتهم منها . فأخذ الفتية يتمشون وسط النار كما لو كانوا فى نزهة ممتعة . والسر فى كل ذلك فكان فى ذلك الرابع الذى شوهد معهم وسط نار الأتون ، وكان شبهاً بابن الآلهة (دانيال ٣) ... **أيها الأخوة ، نحن بحاجة ماسة فى هذه الأيام - وسط أتون العالم - إلى هذا الرابع الذى رآه بنوخذنصر ... نحن بحاجة إلى مسيحنا يرافقنا ويشجعنا ... ذاك الذى كان مع دانيال فى جب الأسود (دانيال ١٤) ، ومع يونان فى جوف الحوت ، ومع آبائنا القديسين فى وحدتهم . وسط البرارى والجبال وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم له ...**

٢ ـ الروح القدس :

الرفيق الثانى فى طريقنا إلى الله هو الروح القدس ، بعد أن صرنا فى المسيح وبه هيكلاً مقدساً لله الحىّ « **أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله . لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو** » (كورنثوس الأولى ٣ : ١٦ ، ١٧) ... والروح القدس كما تعلمون هو ما وعدنا به رب المجد يسوع أنه يمكث معنا إلى الأبد ، وأنه يعرفنا كل الحق ، ويعلمنا كل شىء ، ويذكرنا بكل ما قاله لنا (يوحنا ١٤ : ١٥ - ١٧ ، ٢٦) .

يقول المثل الدارج « الغريب أعمى ولو كان بصيراً » ... فما احوجنا ونحن فى غربة هذا العالم إلى من يقودنا ويرشدنا !! ... إن هذا هو عمل الروح القدس فى الإنسان المؤمن ... لقد سلمنا الرب يسوع للروح القدس ليجدّد طبيعتنا ويعمل فينا ويرشدنا وذكّرنا (يوحنا ١٦ ، ١٢ ، ١٣) ... ونحن بحاجة إلى روح الله القدوس الباركليت (المعزى) . فما أكثر الضيقات والمصاعب التى نتعرض لها فى طريق غربتنا ... لكن لنذكر أن روح الله الذى أخذناه مجاناً ، لا تكون له فاعلية فينا ، إلاَّ إذا عشنا حياة الطاعة له فلا نطفئه ولا نحزنه بخطايانا وعنادنا ، وعدم انصياعنا لتبكيته لنا عن إنحرافنا عن طريق الله ...

٣ ـ الضمير :

رفيق آخر فى الطريق هو الضمير ... **فى عظة السيد المسيح على الجبل يقول « كن مراضياً لخصمك سريعاً مادمت معه فى الطريق .**

لئلا يُسَلِّمكَ الخصم إلى القاضى . ويُسلِّمك القاضى إلى الشرطى فتلق فى السجن . الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير» (متى ٥ : ٢٥ ، ٢٦) ... ويفسر آباء الكنيسة ومعلموها الخصم على أنه ضمير الإنسان . ولقد شبهه المسيح بالخصم لأنه يختصم الإنسان كلما أراد أن يعمل عملاً لا يرضى الله . لكنه لا يظل إلى النهاية يختصمنى ، و يقف أمامى معانداً ، لأنى بكثرة رفضى لمشوراته وتحذيراته ، يضعف صوته ويخفت فى أُذنىَّ ... و يظل الأمر يسير من سيء إلى أسوأ حتى يصاب الإنسان بالصمم الروحى ، فلا يسمع صوت الضمير كلية !! والمقصود بالطريق فى كلام السيد المسيح السابق ، حياة الإنسان الأرضية . أما القاضى فهو المسيح له المجد ، والشرطى يقصد بهم الملائكة ، والسجن يُكنى به عن الأبدية الرهيبة إن كان الإنسان شريراً ... وقوله « الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير» ... يقصد بالفلس أقل الخطايا حيث أن الفلس أصغر عملة عند اليهود . ولا يقصد المسيح أنك حينما توفى الفلس الأخير تخرج من السجن . فحتى هناك لا تفيد ذلك ... وهناك أمثلة عديدة من الكتاب المقدس تؤدى ذلك . يقول « لم تَلِدْ ميكال حتى ماتت » . وليس من المعقول أنها ولدت بعد موتها . وقوله فى قصة الطوفان « لم يعد الغراب إلى الفلك حتى جفت المياه » (تكوين ٨ : ٧) . فلم يحدث أن الغراب بعد جفاف الطوفان ، عاد ثانية إلى فلك نوح !! أقول هذا الكلام تحوّطاً ، لئلا يسيء البعض فهم الكلام ، فيظن أن هناك عذاباً لبعض الوقت بالنسبة للخطاة ، بعده يفرج عنهم و ينعمون بالنعيم الأبدى !!

٤ ـ الخلائق الروحية السمائية :

ويقصد بهم الملائكة ... ونكتفى بالكلام هنا عن الملائكة الحراس ... تعلّم كنيستنا أن لكل واحد منا ملاكاً حارساً ، وهو نفس معتقد اليهود قديماً ... يقول السيد المسيح « انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار ، لأنى أقول لكم إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات » (متى ١٨ : ١٠) ...

وفى قصة سجن بطرس الرسول ، وخروجه من السجن بواسطة ملاك الرب ليلاً ، يقول كاتب سفر أعمال الرسل « أن بطرس قصد علّية صهيون حيث كان كثيرون مجتمعين يصلون لأجله . فلما قرع الباب سمعته جارية إسمها رودا ، لكنها لم تفتح الباب من الفرح : بل ركضت إلى المجتمعين واخبرتهم أن بطرس واقف قدام الباب . لكنهم لم يصدقوا الجارية وقالوا أنه ملاكه » (أعمال الرسل ١٢ : ١٢ ـ ١٥) .

وفى كلام معلمنا بولس الرسول ما يؤيد هذا المعتقد من جهة عمل الملائكة ... يقول عنهم « اليس جميعهم أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » (عبرانيين ١ : ١٤) .

إن الملائكة هم الذين يحملون أرواح البشر حينما تنفصل عن أجسادهم ... وفى مثل الغنى ولعازر الذى قدمه السيد المسيح يقول « مات المسكين (لعازر) وحملته الملائكة . إلى حضن إبراهيم » (لوقا ١٦ : ٢٢) ...

هناك أنواع ورتب كثيرة من الملائكة والسمائيين يمكن أن نطلب معونتهم ورفقتهم . والله نفسه يحرضنا و يشجعنا على ذلك ... « ملاك الله حال حول خائفيه و ينجيهم » (مزمور ٣٤ : ٧) ... « لأنه يوصى ملائكته بك ليحفظوك فى سائر طرقك » (مزمور ٩١ : ١١) . لكن يكفينا هنا أن نفكر فى رفقة ملاكنا الحارس فى الطريق المقدس إلى الله ...

٥ - الشـــهداء والقديســـين :

وهؤلاء هم نعم الرفاق فى الطريق الروحى ... إن كنيسة المسيح هى كنيسة القديسين سواء الذين إنتقلوا أم الذين مازالوا يجاهدون على الأرض ... والقديسون الذين رحلوا عنا بالجسد ، لم يتوقف عملهم ... ليس هناك كنيستان كما يحلو للبعض أن يصوروا : كنيسة منتصرة فى السماء ، وكنيسة مجاهدة على الأرض ... إنها كنيسة واحدة ، رحل بعض أعضاؤها ، ومازال البعض الآخر على الأرض يجاهدون ...

إن قصص الشهداء والمعترفين الذين عذبوا لأجل إيمانهم المسيحى حافلة بالرؤى التى كانت تعلن لهم ... نقرأ أن قديسين كثيرين كانوا يظهرون لهم يشجعونهم على إحتمال الآلام . وفى كتاب « الاستشهاد فى المسيحية » قدمنا أمثلة لما نقول ... ومعلمنا القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين ، بعد أن استعرض قائمة طويلة من أبطال الإيمان فى العهد القديم يقول : « **إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا** » (عبرانيين ١٢ : ١) ... **ماذا يفعل**

هؤلاء الذين يؤلفون سحابة الشهود ... ؟ إنهم يتوقون إلى خلاصنا . لذا فهم يشجعوننا بطرق عديدة ، بعضها نحس به ، والبعض الآخر لا نحس به ... وطوبى للإنسان الذى يتصادق مع القديسين بمعرفة سيرهم والاقتداء بها ، وعمل تماجيد لهم خاصة فى تذكار أعيادهم . ولقد كان اجدادنا واسلافنا وآباؤنا حريصين على هذه المناسبات .

وفى طقس كنيستنا ما يُجَسّد أمامنا هذا المعتقد ... ففى ذكصولوجية (تمجيد) باكر ، التى ترتل عقب مزامير باكر وقبل رفع البخور ، رتبت الكنيسة سلاماً لقديسين كثيرين ... تقول :

نسجد للآب والإبن والروح القدس ، السلام للكنيسة بيت الملائكة .

السلام للعذراء التى ولدت مخلصنا . السلام لغبريال الذى بشرها .

السلام لميخائيل رئيس الملائكة . السلام للأربعة وعشرين قسيساً.

السلام للشاروبيم . السلام للسارافيم . السلام لجميع الطغمات السمائية .

السلام ليوحنا السابق العظيم . السلام للإثنى عشر رسولاً .

السلام لأبينا مرقس الإنجيلى ، مبدّد الأوثان .

السلام لاستفانوس أول الشهداء . السلام لجورجيوس كوكب الصبح .

السلام لجميع صفوف الشهداء . السلام لأنبا أنطونيوس والثلاثة مقارات .

السلام لجميع صفوف لباس الصليب . السلام لجميع القديسين الذين أرضوا الرب .

أيها المسيح ملكنا . بصلواتهم اصنع معنا رحمة فى ملكوتك .

إن هذه الذكصولوجية إعلان عن إيمان كنيستنا بأن هؤلاء القديسين والشهداء أحياء ، ولذا فنحن نهديهم السلام ، شاعرين أنهم معنا يملأون بيت الله ... إن هذه الذكصولوجية بترتيبها الطقسى تحمل معنى رائعاً ... إنها أول عمل تعمله فى الصباح . وكأننا نقول لقد كنا نائمين أثناء الليل ، وها ان النهار قد اصبح علينا ، لذا فنحن بذلك كمن يقول لهم صباح الخير ... **إن هذه الذكصولوجية بترتيبها إنما هى تعبير عن الصلة العميقة التى تود الكنيسة أن تكون لنا مع القديسين ...**

الشهداء والقديسون خير معين للإنسان . ولا تصدقوا محاولات التشكيك من غير أبناء الكنيسة ، التى يحاولون بها تشكيك البسطاء وغير الدارسين فى فعالية الالتجاء للقديسين وطلب شفاعتهم ... **فما زالت المعجزات تحدث كل يوم على إسم قديسين كثيرين ، وعلى رأسهم العذراء أم النور مريم .**

لقد تمسكت كنيستنا دائماً بالقديسين والشهداء وتصادقت معهم ولها جيش غير منظور منهم ، يدافعون عنها ويحمون تراثها ... لقد تشربت الأرض بدماء الشهداء فنبتت شجرة الإيمان وترعرعت ... ونحن الآن نستظل بها ونستفيد من قطوفها الرانية وثمارها الحلوة .

مصـــاعب الطــــــريق

- طبيعة الطريق إلى الله .
- أعداء الطريق (الشيطان) .
  طبيعته - إمكانياته المحدودة -
  صفاته وأساليبه - أسباب قوته .
- أعـــوان الشـــيطان .
- الإنســــان ذاتـــه .

أولاً - طبيعة الطريق إلى الله :

لا عجب إذا قلنا أن من معالم الطريق إلى الله صعوبته ... وهوذا الرب يسوع نفسه يشهد بذلك . فيقول فى عظته على الجبل - التى تتضمن مبادئ المسيحية الأدبية والروحية « **ادخلوا من الباب الضيق . لأنه** واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك ، وكثيرون هم الذين يدخلون منه . **ما اضيق الباب واكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة .** وقليلون هم الذين يجدونه » (متى ٧ : ١٣ ، ١٤) .

وهوذا بولس وبرنابا كانا فى أثناء خدمتهما التبشيرية « يشددان انفس التلاميذ (المؤمنين) و يعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان ، وأنه **بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله** » (أعمال الرسل ١٤ : ٢٢) ... وفى رسالته إلى أهل كورنثوس يقول بولس الرسول « فى كل شىء نُظهِر أنفسنا كخدام الله **فى صبر كثير. فى شدائد . فى ضرورات . فى ضيقات ... فى أتعاب** » (كورنثوس الثانية ٦ : ٤ ، ٥) . **بل أن هذا الرسول يجعل من مصاعب الطريق واحتمالها دليلاً هاماً على النجاح فى طريق الله** ... يقول لأهل تسالونيكى « ينبغى لنا أن نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الإخوة كما يحق ، لأن إيمانكم ينمو كثيراً ، ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد ، حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم فى كنائس الله **من أجل صبركم وإيمانكم فى جميع اضطهاداتكم ، والضيقات التى تحتملونها بينة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله ، الذى لأجله تتألمون أيضاً** » (تسالونيكى الثانية ١ : ٣ - ٥) ...

إذن أيها الاخوة الأحباء ، إذا كان الطريق إلى الله صعباً وشاقاً وكرباً فما هى مصاعبه؟ ... هذا هو موضوع حديثنا فى هذا المساء ...

ونستطيع أن نلخص مصاعب الطريق إلى الله فى نقطتين رئيسيتين : مصاعب من خارج الإنسان ، ومصاعب من داخله . أو بعبارة أوضح : الشيطان واعوانه ثم شهوة الإنسان نفسه وملله من الطريق ... وقبل أن نتناول بالبحث هاتين النقطتين الرئيسيتين ، أرى من الضرورى أن نقف قليلاً لنعرف شيئاً عن طبيعة الطريق إلى الله ...

طبيعة الطريق إلى الله أن فيه صعوبات ... هذا أمر طبيعى مثل خصائص أى مادة ... فحينما اقترب بعود ثقاب مشتعل من مادة البنزين أو الكحول ، فإن كلاً منهما يشتعل للحال . وإذا حدث ولم يشتعلا فهما ليسا بنزيناً أو كحولاً !! فالاشتعال هنا من خصائص البنزين والكحول ... هكذا الصعوبات تعتبر من خصائص الطريق إلى الله ... هذه معلومة أساسية يجب أن نعرفها لأنه ماذا يحدث لو لم يعرف الإنسان ذلك ؟ قد يحدث أن يُحارب باليأس و يترك طريق الله كلية ...

لكن لماذا يسمح الله بأن يكون طريقه صعباً هكذا ؟ هل الله يتلذذ بتعب أولاده وآلامهم ... وهل هذا يتناسب مع طبيعة الله المحب ؟!

حاشا أن ننسب لله أنه يتلذذ بتعبنا وآلامنا ... لكن كل ما فى الأمر أن هذا الأسلوب هو ما يناسب طبيعة الإنسان ... لقد كان الإنسان أصلاً فى الفردوس ، وهو الذى أخرج ذاته منه ... إن الراحة

- للأسف - لا تناسب الإنسان !!... فحينما يستريح الإنسان راحة كاملة يضل و ينسى الله نسياناً كاملاً . **ومن مراحم الله أنه يسمح بصعوبة الطريق وضيقاته وآلامه لكى نرجع إلى أنفسنا ، وبالتالى نعود إلى الله** ... يقول أحد الفضلاء : **[إن الضيقات هى لغة الله لمحبيه]** أى أن الله بدافع محبته يكلم من يحبهم بهذا الأسلوب حتى يرجعوا إليه ... أما الأشرار فيقول عنهم الرسول « وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » (رومية ١ : ٢٨) ... أى (يعملوا اللى عايزين يعملوه) ... **فهل تريد أن يتعامل الله معك بهذه الطريقة ؟**

ربنا يسوع المسيح الذى يدعوه الكتاب المقدس « رئيس السلام » (إشعياء ٩ : ٦) ، حين أرسل تلاميذه فى إرساليتهم الأولى ، أعلن لهم حقيقة هامة : « لا تظنوا إنى جئت لألقى سلاماً على الأرض . **ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً** » (متى ١٠ : ٣٤) ... **معنى هذا أن مملكة رئيس السلام يجب أن تؤسس بالجهاد الروحى إلى النفس الأخير** ، وهذا ما عناه بالقول « ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً » ...

ورسل المسيح وتلاميذه الذين أرسلهم ليؤسسوا الكنيسة وينشروا الإيمان فى العالم ، قد فهموا هذا المبدأ الأساسى . فحين نقرأ عن رحلاتهم الكرازية وعملهم التبشيرى بين من آمنوا على أيديهم نستمع إلى صوت هتاف النصرة التى تعقب المعارك (خروج ٣٢ : ١٨) ... إن كل شىء يشير إلى أن هناك معركة حامية ... إنها المعركة الروحية ضد قوات الشر والظلمة التى لن تتوقف !!

وفى الرسائل التى وجهها السيد المسيح إلى ملائكة السبع الكنائس فى آسيا الصغرى نقرأ عن المكافأة الوحيدة التى وعد بها خدامه الأمناء « من يغلب فسأعطيه... » (رؤيا ص ٢ ، ٣)... وقوله « من يغلب » يعنى أن هناك جهاداً وغلبة ونصرة .

لقد حذرنا الكتاب المقدس من أعدائنا الروحيين فى داخل قلعة أنفسنا سواء عن طريق الخيانة أو بدونها ، تلك التى يشير إليها بطرس الرسول بقوله « الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (بطرس الأولى ٢ : ١١) ، والتى يشير إليها معلمنا بولس الرسول بقوله « ناموس آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى » (رومية ٧ : ٢٣) .

وتشبيهات الحرب والقتال ومعداته وأسلحته ترد بكثرة ووضوح فى رسائل القديس بولس الرسول ... فهو يحثنا أن نلبس « سلاح الله الكامل لكى نقدر أن نثبت ضد مكايد إبليس » (أفسس ٦ : ١١)... و يوصى تلميذه تيموثاوس أن يحارب المحاربة الحسنة (تيموثاوس الأولى ١ : ١٨)... و يوصيه أن يجاهد جهاد الإيمان الحسن (تيموثاوس الأولى ٦ : ١٢)... وأن يشترك فى إحتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح (تيموثاوس الثانية ٢ : ٣)... و بينما كان القديس بولس قاب قوسين أو ادنى من الاستشهاد وخلع الجسد ، يجعل رجاءه فى إكليل الحياة على أساس أنه جاهد الجهاد الحسن « قد جاهدت الجهاد الحسن . أكملت السعى . حفظت الإيمان . وأخيراً قد وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل . وليس لى فقط ، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » (تيموثاوس الثانية ٤ : ٧ ، ٨) .

وهكذا أيها الاخوة الأحباء نرى العهد الجديد ينبه فى أكثر من موضع إلى الحرب الروحية والقتال الروحى، ووجود الأعداء الروحيين. ونقرأ عن أسلحة ومكافأت، وحياة وموت ... كما ينبه إلى دهاء وضراوة أعدائنا وقوتهم « مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » (أفسس ٦ : ١٢) ... « لأننا وإن كنا نسلك فى الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون » (كورنثوس الثانية ١٠ : ٤)... لقد اتينا إلى العالم لكى نجاهد. وهكذا يجب أن تمضى حياتنا فى جهاد وقتال روحيين. وبقدر ما تخلو حياة إنسان من هذه السمات بقدر ما تكون حياته فاشلة ...

كل نفس آمنت بالمسيح واعتمدت له هى عضو فى جيش الإله الحىّ . وفى الحرب الروحية لا توجد فترات للتقاعد والراحة. فعدونا إبليس قوى لا ينام ولا يلين ولا ييأس ... وهكذا يستمر هذا النضال ما دامت الحياة ... **يكفى لكى نعرف طبيعة الطريق، وما يتطلبه من جهاد، أن نعرف أن كنيسة المسيح فى العالم تُعرف باسم « الكنيسة المجاهدة »**، تمييزاً لها عما اصطلح على تسميته باسم « الكنيسة المنتصرة »، والتى تضم نفوس الأبرار الذين جاهدوا وتركوا هذا العالم ...

هذا عن طبيعة الطريق - إنه طريق جهاد ... **يجب أن يستقر هذا المفهوم فى اذهاننا حتى لا نصاب باليأس والفشل ... لأن البعض حينما تقابله صعوبة أو شدة أو ضيقة، يعجب أشد العجب** و يقول فى

نفسه « ماذا عملت ... الواحد ماشى بخوف ربنا وهو وحده أعلم . ولا أعرف لماذا التجارب نازلة علىَّ كالمطر» !! ... بكل تأكيد نحن نسمع مثل هذا الكلام من البعض ... لكن لنسمع ما يقوله القديس بولس الرسول إلى العبرانيين **« لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ، ويجلد كل إبن يقبله ... إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين ، فأى إبن لا يؤدبه أبوه . ولكن إن كنتم بلا تأديب ، قد صار الجميع شركاء فيه . فأنتم نغول لا بنون »** (عبرانيين ١٢ : ٦ - ٨) ... ويقول أيضاً **« نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم »** (كورنثوس الأولى ١١ : ٣٢) ... فإن كان الله يتعامل مع أولاده بالتأديب ، فلكى ما ينقيهم ليصيروا ذهباً مُصَفّى .

ثانياً - أعـــداء الطـــريق :

ونقصد بهم الشياطين وأعوانهم ... وقبل أن نتكلم أود أن أؤكد حقيقة مسيحية اصيلة وهى أن : **المسيحيين لا يعتبرون أحداً من البشر عدواً لهم** . فهم مطالبون بمحبة الجميع حتى من يُضمرون لهم العداء و يضايقونهم ... إن هؤلاء يصلى المسيحيون لأجلهم عن حب ، حتى ما يحررهم الرب من قبضة إبليس . لأن من يبغض ليس من الله ولا عرفه .

من المهم جداً أن يعرف الإنسان عدوه أو أعداءه أياً كانوا حتى فى القليل ؛ يأمن شرهم وخطرهم ... ولدينا مثل حىّ . فلقد كان سبب كارثة حرب يونية سنة ١٩٦٧ هو عنصر المفاجأة والمباغتة الذى إتبعته إسرائيل ... وإن كنا هزمنا سنة ١٩٦٧ لكننا تلقّنا درساً بل دروساً فى

الحرب ، وعيناها جيداً وادت إلى إنتصارنا فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ...

هكذا يفيدنا أن نعرف اكبر قدر من المعلومات عن اعدائنا الروحيين (الشياطين) ، حتى نحترس منهم ونأمن شرهم ، ونكون على استعداد حتى لا نقع فى حبائلهم وشباكهم التى ينصبوها لنا ... لذا من الضرورى أن نتناول بالكلام طبيعة الشياطين واساليبهم ومكرهم ودهائهم وخداعهم وحيلهم وأسلوبهم فى الحرب الروحية ، ومدى قوتهم أو شجاعتهم . فإن هذا بلا شك يعيننا فى جهادنا مسيرة فى الطريق إلى الله .

الشيطان حوله هالة كبيرة جداً ، لذا يخشاه الناس و يرتعبون منه ... نحن لا ننكر قوة الشيطان الذى دعاه رب المجد **« رئيس هذا العالم »** (يوحنا ١٢ : ٣١ ؛ ١٦ : ١١) ... **ولكن فى نفس الوقت لا ننسى أن المسيح قال عنه أيضاً « ليس له فىَّ شىء »** (يوحنا ١٤ : ٣٠) ... هذا بالنسبة للمسيح القدوس الذى بلا شر ، أما بالنسبة للإنسان الخاطىء فالشيطان له فيه شىء بل أشياء ... انه يتعامل مع الإنسان من خلال الخطية و بسببها . إن الخطية هنا هى « مسمار جحا » كما يقول المثل . ولكون المسيح له المجد بلا خطية فالشيطان ليس له فيه شىء . ومن استطاع من البشر أن يحيا بلا خطية ، فإنه يستطيع أن يقول نفس كلمات المسيح « ليس له فىَّ شىء » . فبضاعة الشيطان التى يتعامل و يتاجر بها هى الخطية والشر ... **لذا فعلى الإنسان حينما يسير فى طريق حياته الروحية ، أن يباعد بين نفسه وبين الخطية ، لكى يأمن**

حكاية « مسمار جحا » !! والآن نستعرض بعض مما يهمنا معرفته عن الشيطان ...

١ - طبيعة الشـــيطان :

لا مجال هنا للقول بأن الشيطان كان مع جنوده يؤلف طغمة من الطغمات السمائية ، وأنه سقط بالكبرياء (١) . كان لسقوطه آثار عميقة على طبيعته . فهو مخلوق مشوّه محدود فى قدراته ... ولو أن الإنسان هو الآخر سقط ، لكنه يجدد قدراته بالتوبة ، بل قد تكون القوة الروحية التى يستردها بالتوبة أكبر مما يفقده بالخطية « حيث كثرت الخطية إزدادت النعمة جداً » (رومية ٥ : ٢) ... وفى الوقت الذى يسير فيه إبليس نحو الانحدار ، نجد الإنسان يجدد قواه و يسير من قوة إلى قوة ، ومن مجد إلى مجد ...

ونستطيع أن نلمس ضعف الشيطان المتزايد يوماً بعد يوم ، ومع ذلك فهو لا يكف عن محاربة أولاد الله ، على الرغم من أن أولاد الله يتقوّون عليه ، الأمر الذى يثيره ... **لقد نظر إبليس ورأى الإنسان الضعيف ، وقد صار قوياً فى المسيح . لذا وقف الشيطان عند دينونة المجاهدين كمشتكى عليهم . وتحير حين رأى شكاياته رفضت !! وعوضا عنها أعطيت أكاليل مجد لمن أشتكى عليهم بسبب إنتصارهم عليه فى قتاله !!**

يقول القديس مقاريوس الكبير [حسب التدبير الإلهى فإن

١ - أقرأ عن هذا الموضوع فى كتاب « السماء » لنفس المؤلف .

الشيطان لا يُرسل للحال إلى مكان العذاب المعدّ له . لكن يسمح له أن يكون مطلق السراح ، لتجربة وغواية البشر ، حتى ما يصبح القديسون - وإن كان هذا ضد خططه - أكثر براً بالصبر ، و يكون بهذا سبباً لمجد أعظم لهم] .

والأمر الذى مازال يثير الدهشة ، إن الشيطان على الرغم من خبرته الطويلة وحنكته فى القتال ، فإنه لم يقدر أن يدرك إنه حينما يدخل فى قتال معنا ، فإنه إنما يسعى فقط لتجديد القتال القديم الذى إنتهى باندحاره الأبدى عند الجلجثة !! إنه لا يقاتل الإنسان الضعيف ، بل الله الذى أخذ جسدنا ، وسحقه تحت اقدامه بالصليب ، وكسر مصاريع النحاس ، وقطع عوارض الحديد (مزمور ١٠٧ : ١٦) .

٢ - الشيطان محدود فى إمكانياته :

لعل أول ما يجب معرفته عن الشيطان ، انه محدود فى إمكانياته ... وعلى الرغم من هذه المحدودية ، فيجب الاعتراف أنه خصم لا يستهان به . والنفس التى تستهين به لا بد وأن تصبح يوماً من ضحاياه !! ومما ورد فى سفر دانيال يمكننا أن نأخذ فكرة عن قوة هذا العدو... فلقد صلى دانيال إلى الله ، وأرسل جبرائيل أحد رؤساء الملائكة ليبلّغ دانيال رسالة من الله . وظل النبى ينتظر واحداً وعشرين يوماً رد السماء !! وأخيراً ظهر أمامه رئيس الملائكة جبرائيل وقال له : « لا تخف يا دانيال ، لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولإزلال

نفسك قدام إلهك سُمع كلامك ، وأنا اتيت لأجل كلامك . ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحداً وعشرين يوماً . وهوذا ميخائيل واحدٌ من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى ، وأنا ابقيتُ هناك عند ملوك فارس . وجئت لأفهمك ما يُصيب شعبك فى الأيام الأخيرة » (دانيال ١٠ : ١٢- ١٤) .

وتفسير هذا الكلام أن دانيال حينما بدأ يصلى إستجاب الله صلاته وصدر أمره ، وكلف رئيس الملائكة جبرائيل أن يبلغ دانيال رسالة الله وأمره . ولكن جبرائيل تأخر عن الوصول إلى دانيال ثلاثة أسابيع لأن رئيس من الشياطين وهو الموكول بمملكة فارس التى كان منها دانيال ـ وقف مقابل جبرائيل ومنعه طوال هذه المدة من الوصول إلى دانيال ، لولا أن رئيس الملائكة ميخائيل هبّ لنجدته !! لعل هذه الإشارة تعطينا فكرة عن تنظيم مملكة إبليس ، وكيف أنه خصم لا يستهان به ، إذ إستطاع أن يعوق واحداً من رؤساء الملائكة وهو جبرائيل لمدة ثلاثة أسابيع !!

وأنا لا اسوق هذا المثال عن قوة إبليس لكى نلقى الروع فى أنفسنا ، إنما لكى نعرف حقيقة أمره ... هذا ، ومن ناحية أخرى فإن الخوف من الشيطان أكثر من اللازم من شأنه أن يضعف من قوة الإنسان المعنوية . وفيه نوع من تجاهل مواعيد الله حيث وعد أنه يحارب عنا ، وإنه معنا كل الأيام حتى إنقضاء الدهر (رومية ٨ : ٣١ ؛ متى ٢٨ : ٢٠) .

معلومات الكثيرين عن الشيطان خاطئة ... انكر البعض وجود

شيء إسمه الشيطان ، بينما بالغ البعض الآخر فى قوته وإمكانياته وقدراته وكأنه إله ثانٍ مقابل الله ، موجود فى كل مكان ويعلم كل شيء ، بل ويستطيع الكثير !!

لكن لنذكر دائماً أن الشيطان مخلوق محدود ، وله حدود معينة يعمل فيها ... وكمثال لانحراف البعض نذكر من يقصدون السحرة والعرافين ومن اليهم ممن يعملون الزار ويقدمون ذبائح بمواصفات معينة كطلب الأرواح الشريرة أو الدجالين . الالتجاء للسحرة والعرافين خطيئة كبيرة جداً ، مهما قيل من اسباب ومبررات لا محل لذكرها ... **ونعرض الآن لبعض مما يجب معرفته عن الشيطان :**

أ ـ الشيطان ليس موجوداً فى كل مكان :

لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الشيطان موجوداً فى كل مكان . فالوجود فى كل مكان صفة من الله غير المحدود وحده ، الأمر الذى لم يُعْطَ لملائكة أو لشياطين . وإذا وجد روح فى مكان ما ، فلا يمكن أن يكون هذا الروح فى مكان آخر فى نفس الوقت ... حقيقة أن الأرواح تستطيع الانتقال بسرعة فائقة ، لكن ومع ذلك فلا يمكن أن يوجد أى روح مخلوق فى مكانين فى وقت واحد ، الشيطان لا يمكنه أن يوجد فى مكانين فى وقت واحد ، **وإن كان يستطيع ـ بواسطة جنوده الأشرار العديدين ـ أن يتعامل مع كل نفس . كما يستطيع أن ينفذ خططه عن طريق عملائه ووكلائه الأشرار المنتشرين فى كل مكان !!**

ب ـ الشيطان لا يعرف الأسرار ولا يعلم كل شيء :

الشيطان لا يعرف كل شيء أو يعلم الأسرار الخفية ، فهذه الصفة ـ معرفة كل شيء والعلم بكل شيء ـ من صفات الله وحده ... والإنسان يحزن و يندهش حينما يرى بعض ممن يعتبرهم مثقفين يقصدون من يحسب لهم الطالع و يدلهم على المستقبل ويحضر لهم الأرواح ... إلخ !! نحن لا ننكر أن الشيطان رغم سقوطه فإن لديه معلومات ومعرفة أوسع من التى لنا ، بحكم وجوده مع كائنات روحية أخرى ، وبحكم طبيعته الأولى . وهى طبيعة روحانية ... لكن مع كل ذلك فإن معلوماته محدودة ومعرفته محدودة أيضاً ...

يُضاف إلى ذلك ـ كما يقول القديسون ـ إن المعلومات التى يأتى بها الشيطان هى نتيجة خبرته الطويلة بحكم عمره الطويل جداً ، وما يترتب على ذلك من إستنتاج ، وكذا بحكم إمكانية الانتقال السريع جداً الذى له ... فمثلاً قديماً كان يمكنه أن ينبىء بحالة فيضان النيل فى أحد الأعوام ... فحينما يرى الأمطار تهطل بغزارة على هضبة الحبشة يعرف أن الفيضان عالٍ ، بينما آثار الفيضان لكى تصل إلى مصر تحتاج إلى وقت كبير نسبياً . والعكس فى حالة الأمطار القليلة ... وهنا نرى أن إنباءه بما سيحدث فى المستقبل لا يرجع إلى معرفة بل إلى ملاحظة بالاضافة إلى عوامل أخرى !! ... ويمكن أن ينبىء عن إنسان مقيم فى أمريكا أو استراليا أنه سيحضر غداً مثلاً ، فقد رآه يستقل الطائرة فى طريقه إلى مصر قبل أن تكون لدينا هذه المعرفة ، وهكذا ...

جـ - الشيطان لا يقدر على قراءة أفكار البشر ولا يعرف ما فى قلوبهم :

دور الشيطان فى حربه مع الإنسان هو الغواية فقط . ولا يستطيع الشيطان أن يعرف مدى تأثير غوايته الشريرة لإنسان ما ، إلاَّ بقدر ما يُظهر هذا الإنسان من أحاسيس وإنفعالات خارجية كدليل على ذلك . ومنها وبها يستطيع أن يستنتج . يقول سليمان الملك ابن داود فى صلاة تدشين الهيكل : « **لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر** » (ملوك أول ٨ : ٣٩) ...

الله وحده إذن الذى يعرف ما فى قلوب بنى البشر . أما الشيطان فلا قدرة له على ذلك ... وما أن يلاحظ الشيطان على الإنسان اضطراباً أو خوفاً أو ميلاً للاستسلام نتيجة غوايته ، حتى يضاعف من هجومه بصورة يكتسح معها مقاومته !! لذا ينبغى أن نكون هادئين غير مضطربين فى أوقات التجربة ، غير معطين أى علامة خارجية نشجع بها الشيطان ... ولنتذكر كيف أن خبرة الشيطان الطويلة قد اكسبته حذقاً ومكراً ودهاءً فى قراءة الانفعالات والعلامات الخارجية التى تصدر من البشر .

هـ - الشيطان يجرب الإنسان فى حدود ما يسمح به الله :

الشيطان ليس حراً فى أن يفعل بالإنسان ما يريده . وإلاَّ لو كان الأمر كذلك لأبادت الشياطين البشر ... **لكن الشيطان يجرب الإنسان بسماح من الله ، وفى حدود ما يسمح به .** وقصة أيوب (ص ١ ، ٢) ، توضح لنا هذا الأمر تماماً بما لا يدع مجالاً للشك أو التأويل ...

ماذا تقول قصة أيوب ؟

« كان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم . فقال الرب للشيطان من أين جئت . فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها . فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ، لأنه ليس مثله فى الأرض . رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر . فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجاناً يتقى أيوب الله . أليس انك سيّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية . باركت أعمال يديه ، فانتشرت مواشيه فى الأرض . ولكن ابسط يدك الآن ومسّ كل ما له فإنه فى وجهك يجدّف عليك . **فقال الرب للشيطان هوذا كل ما له فى يدك . وإنما إليه لا تمد يدك .** ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب » .

ثم أخذ الشيطان يمارس نشاطه أو هوايته الشر يرة فحلت الكوارث بأيوب وبيته : ضاعت أبقاره واتنه ، ومات غلمانه بحد السيف ، واحترقت اغنامه بالنار وكذلك غلمانه ، ومات أولاده و بناته ...

« فقام أيوب ومزّق جبته وجزّ شعر رأسه وخرّ على الأرض وسجد . وقال **عر ياناً خرجت من بطن أمى ، وعر ياناً أعود إلى هناك . الرب أعطى والرب أخذ فليكن إسم الرب مباركاً . فى كل هذا لم يخطىء أيوب ولم ينسب لله جهالة** » .

مرّة ثانية يتكرر الأمر و يظهر الشيطان أمام الله . و يقول الرب للشيطان : « هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ، لأنه ليس مثله فى

الأرض . رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر . وإلى الآن هو متمسك بكماله . وقد هيجتنى عليه لابتلعه بلا سبب . **فأجاب الشيطان الرب وقال جلد بجلد وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه ، ولكن أبسط يدك ومسّ عظمه ولحمه فإنه فى وجهك يُجدّف عليك . فقال الرب للشيطان ها هو فى يدك ، ولكن احفظ نفسه .** فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردىء من باطن قدمه إلى هامته ... فى كل هذا لم يخطىء أيوب بشفتيه »

كانت تجربة أيوب الأولى فى أولاده وممتلكاته ، والتجربة الثانية صارت فى جسده وواضح جداً من هاتين التجربتين أن الله كان يسمح للشيطان بتجربته فى حدود معينة . **ولماذا يسمح الله بالتجربة فى حدود معينة ؟ ... لأن الله - فى عدله - لا يسمح أن يجرب الإنسان فوق طاقته واحتماله ...** وإذا سلمنا أن الله عادل ، وهو كذلك ، فإنه لا يسمح بتجربتنا فوق ما نطيق ... يقول معلمنا بولس : « **لم تُصبكم تجربة إلاّ بشرية ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ ، لتستطيعوا أن تحتملوا** » (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣) .

ونلاحظ هنا **أن التجربة لا تكون فقط على قدر طاقة الإنسان ، بل أن الله فى حنوه يعطى منفذاً مع التجربة ...** يقول أحد الآباء الروحيين : [إن الله لا يرفع التجربة لأنها مفيدة للإنسان ، لكن فائدة المنفذ أنه يعطى الإنسان قوة على إحتمال التجربة ... ولو لم تكن التجربة لخير الإنسان لما سمح الله بها] ...

ويؤكد الوحى الإلهى بلسان بطرس الرسول أن الرب لا يتباطأ عن وعده (بطرس الثانية ٣ : ٩) .

وعلى هذا نقول : **إنه يخطىء من يظن أن الشياطين تستطيع أن تفعل كل ما تريد ، إنما يحاول الشيطان أن يُوهم الناس ويلقى فى روعهم أنه يقدر على عمل أى شىء ... ولكنه فى هذا - كما فى أمور أخرى - كذاب وأبو الكذاب** (يوحنا ٨ : ٤٤) ...

من الضرورى جداً أن نعرف أن الشيطان ليس له سلطان على أولاد الله ... يقول بطرس الرسول : « **إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان** » (بطرس الأولى ٥ : ٨ ، ٩) ... لنتأمل هذا القول الإلهى إبليس كأسد زائر ، يجول ملتمساً من يبتلعه ... والرسول هنا يشبه الشيطان بأسد يزأر. والأسد لا يزأر إلاَّ إذا كان جائعاً ... ثم ماذا ؟ هذا الأسد القوى الجائع يجول ملتمساً من يلتهمه ... وواضح أنه فى جوعه يبحث عن إنسان ويلتمس التهامه ... **هذا الوصف لا يتفق مع عدو له مطلق القوة والحرية أن يفعل ... ولو كان للشيطان هذا السلطان وهذه الحرية لابتلع أى أحد طالما هو جائع . إنما هو يبتلع من يخشاه ويهابه ويقف له ، ليلتهمه كأسد ، ويسلّم ذاته بإرادته له ...**

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم : [إن الشمس ليست واضحة كوضوح العناية الإلهية . ومع هذا يتجاسر البعض قائلين بأن الشياطين تسيطر على شئوننا . إن لك سيداً محباً ، لم يقبل أن يأتمن الشياطين على شئونك ، ولو أنه تركك بين أيديهم لكنت تعرف شرورهم] .

نحن نعرف **قصة مجنون كورة الجدريين** الذى كان يسكنه لجئون من الشياطين أى فرقة كبيرة من الشياطين . وحالما اقترب المسيح من المكان الذى كان فيه هذا الإنسان البائس ، صرخ الروح النجس وقال : « مالى ولك يا يسوع ابن الله العلى . استحلفك بالله ألا تعذبنى » . ثم طلبت الشياطين من الرب يسوع أن يأذن لها بالدخول فى قطيع كبير من الخنازير كان يرعى هناك . فأذن لها . فخرجت الأرواح النجسة ودخلت فى الخنازير ، فاندفع القطيع إلى البحر (مرقس ٥ : ١ - ١٣) . **واضح هنا أن الشياطين طلبت من المسيح أن يأذن لها أن تدخل فى قطيع الخنازير فأذن لها . ولو لم يأذن لها لما دخلت ... ماذا نسمى هذا ؟ هل الشيطان يستطيع أن يفعل كل ما يريده ؟**

بعد أن تكلمنا عن محدودية الشيطان فى إمكانياته ، ننتقل الآن للكلام عن الشيطان فى صفاته وأساليبه ...

٣ - الشيطان فى صفاته وأساليبه :

من المفيد أن نتوقف قليلاً لنعرف بعض صفات الشيطان وأساليبه فى الحرب الروحية .

أ - الخــــداع :

هو سلاح الشيطان الرئيسى والذى يحارب به منذ البداية ... أول ما نقرأ عن الشيطان فى الكتاب المقدس ، **نقرأ عنه كمخادع** ، يعمل على خداع امنا حواء وغوايتها ، أن تأكل من الشجرة المنهى عنها ... و يشير

إلى ذلك معلمنا بولس الرسول فيقول **إن الحية خدعت حواء بمكرها** (كورنثوس الثانية ١١ : ٣) ، **وأن المرأة أُغويت فحصلت فى التعدى** (تيموثاوس الأولى ٢ : ١٤) ...

وقد حذّر الرسل المؤمنين من خداعه ، فهو يستحوز على ولاء البشر بأن يُعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح (كورنثوس الثانية ٤ : ٤) ومن أساليب خداعه أنه يستطيع تغيير شكله إلى شبه ملاك نور (كورنثوس الثانية ١١ : ١٤) وبواسطة مكائده وعجائبه الكاذبة يضل لو أمكن المختارين أيضاً كما قال رب المجد (مرقس ١٣ : ٢٢) ... **من أجل هذا أوصانا السيد المسيح أن نسهر ونصلى .**

ولعل أكبر خدعة يلعب بها الشيطان حالياً ، هى محاولة إيهام بعض الناس أنه لا يوجد شىء إسمه شيطان !!... ماذا نسمى هذا ؟ هل نسميه إنكار ذات ؟!! فى العالم الغربى الآن لا يعترفون بوجود أرواح شريرة أو وجود شياطين . ولا شك أن هذه خدعة بارعة منه ... أما الغرض من هذا الخداع فهو ألا يحترس الناس منه . إنه يشجع الناس ألا يهتموا كثيراً به ، حتى يقعوا بسهولة فى حبائله ... إن من ينكر وجود الشياطين والأرواح الشريرة ينكر تعليم الأسفار المقدسة . والأمر واضح جداً لا سيما فى أناجيل العهد الجديد وبقية أسفاره .

ب ـ حنكته وحكمته :

والحكمة هنا بطبيعة الحال ليست الحكمة الممدوحة الجيدة ، بل الحكمة

الرديئة أو ما يمكن أن نسميه المكر التى يدعوها يعقوب الرسول « أرضية نفسانية شيطانية » (يعقوب ٣ : ١٥) ... **وتعتبر خبرة الشيطان فى التعامل مع البشر من أقوى وسائل حروبه .** فخبرته ترجع إلى آلاف السنين ، بينما لا يتعدَّ الإنسان فى عمره سنوات قليلة و بالتالى خبرته ... أضف إلى هذا أن الشيطان تعامل مع ملايين البشر ، وربما سيطر على بعضهم . و يعتبر من الغباوة لو ظننا أن هناك شيئاً فينا لم يقابل مثله مع أحد اسلافنا . فالبشر هم البشر فى كل زمان ومكان .

جـ - يحارب فى أقدس الامكنة والأوقات :

إن عدونا يحارب فى كل مكان حتى فى أقدس الأمكنة ... بعض الناس يظنون خطأ أن الشيطان لا يستطيع دخول الكنيسة ... لا ، إنه يدخل الكنيسة ويحاربك بالفكر حتى وأنت تستعد لتناول الجسد المقدس ... **يقول أحد الآباء أنه لا يوجد موضع أو مكان مهما كان مقدساً ، لا يحارب فيه الشيطان الإنسان ...**

نحن نعلم كيف آخذ الشيطان رب المجد يسوع أثناء التجربة - طبعاً بارادته - إلى جناح الهيكل ... يقول القديس يوحنا ذهبى الفم إنه رأى الشيطان بين الصفوف الأولى للكنيسة - أى صفوف المؤمنين المستعدين للتناول ... إلى آخر لحظة هو يحارب المؤمنين القديسين الذين حضروا للتناول المقدس !!

ولعل أفضل علاج له هو المقاومة « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يعقوب ٤ : ٧) . **يصف القديس مقاريوس الكبير**

الشيطان أنه كالكلب الذى يقف أمام حانوت القصاب (الجزار) ... لو أعطى القصاب الكلب قطعة واحدة من العظم مثلاً فإنه لن يتركه ، بل يظل مرابضاً عنده . لكن إذا لم يلتفت إليه ، فإنه يتحول إلى مكان آخر وشخص آخر لعله يعطيه ما يأكله .

٤ ـ أسباب قوة الشيطان :

يجب ألا ننسى ونحن نتكلم عن أسباب قوة الشيطان ، ان ذلك يرجع إلى طبيعته القديمة كرئيس طغمة من طغمات الملائكة الذين سقطوا . لأنه لم يفقد شيئاً من طبيعته القديمة ـ تلك الطبيعة الروحانية ... والآن نتقدم لنعدد أسباب هذه القوة :

أ ـ نشاطه :

إنه لا يهدأ ولا ينعس ... قال لأحد الرهبان المجاهدين : « أنت تسهر وأنا لا أنام ... أنت تصوم وأنا لا آكل . أنت لا تغلبنى بشىء إلاَّ بالتواضع » ... **ربما هدأت الحرب الروحية فى بعض الأحيان . لكن ما يبدو أنها فترات هدوء فى الحرب الروحية ، ليس سوى فترات يأخذها عدو الخير لدراستنا بأكثر دقة ، وليدبر أساليب أكثر خداعاً للفتك بنا** ... حتى فى لحظات هزيمته ، نجده يقظاً لاسترداد ولو منفعة تافهة ... **فمثلاً إذا ظفرنا فى إحدى حروبنا معه ، ونحاول أن نسترد أنفسنا ونستريح ، نجده يرمينا بطعنة كبرياء بسبب نصرتنا عليه !!**

ب ـ لا يدع فرصة تفلت منه :

الشيطان لا ينتظر حتى تواتيه الفرصة للإيقاع بالإنسان فى الشر، لكنه يعمل بلا هوادة ليخلق فرصاً « إنه يجول ملتمساً من يبتلعه » ... أى أنه يبحث عن فريسة ... نحن بحاجة أن نتعلّم من الشيطان الدأب وعدم ترك أى فرصة دون أن نستفيد منها ونستثمرها روحياً .

جـ ـ إصــراره وعنــاده :

على الرغم من مقاومة الإنسان للشيطان ، واحباط خططه فى بعض الأحيان فى بعض التجارب ، لكن الشيطان لا يكف عن معاودة الهجوم واستئناف القتال . **ومهما أنزل الإنسان به من هزائم ، فهو لا يفقد الأمل فى إسقاط الإنسان** ، واحتلال القلب الذى يملك الله عليه ... **إنه لا ييأس ولا يستحى** ... وليتنا نقتدى به أيضاً فى هذه النقطة ، ونغصب أنفسنا إلى وسائل جهادنا .

د ـ صـــبره ومثـــابرتة :

الشيطان ينتظر الوقت الملائم . فإذا وجد الإنسان مثلاً فى جو الخطية لا يُسرع باسقاطه ، لكنه ينتظر عليه حتى يألف جو الخطية ومنظر الشر ، و يكون الشيطان فى هذه الفترة قد أحكم تقييده !! ومن كثرة اعتياد الإنسان على فعل الخطية تصبح لديه كشرب الماء . لكنه لو سارع باسقاطه فربما يفيق الإنسان نتيجة هذا السقطة السريعة !! إن الشيطان يبدأ بالخطايا الصغيرة حتى يصل إلى الكبيرة ... إنه يصبر على النفس

لتصبح مشاعرها أكثر بلادة ، و يصبح الضمير أقل حساسية .

هـ - تكيّفه مع كل الظروف لإسقاط الإنسان :

وهذا واضح من تجربة إبليس لربنا يسوع فى البرية (متى ٤ : ١-١١) . حينما لاحظ إبليس أن السيد المسيح فى رده على التجربة الأولى قد إقتبس من سفر التثنية « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » (تثنية ٨ : ٣) ، فإنه فى التجربة الثانية نلاحظ أنه يغيّر خطته ... ففى هذه المرة يقتبس إبليس مما ورد فى مزمور ٩١ « انه يوصى ملائكته بك ، فعلى إياديهم يحملونك لكى لا تُصدم بحجر رجلك » ... إنه ليس لديه مانع من الاستشهاد بالكتب المقدسة والاقتباس منها ، لو كان ذلك يحقق غرضه ، على الرغم من أنه لا يطيق سماع كلام الله ... ليس لدى إبليس مانع من أن يدفع إنساناً مثلاً للذهاب إلى الكنيسة ، لو عرف أنه يمكن اصطياده هناك . وما أكثر العثرات . إنها موجودة فى كل مكان .

و - إن كنا قد عرضنا فيما سبق لأسباب قوة الشيطان ، فكما أشرنا إلى ذلك قبلاً ، إننا لم نفعل ذلك لكى يزداد خوفنا منه ، لكن لكى نعرف قوة عدونا ، فلا نستهين به ، فالاستهانة هى من أسباب السقوط ... لنثق تماماً ونحن نحارب أعداءنا الروحيين ، أننا إنما ننتصر عليهم بالقوة التى لنا فى شخص المسيح المبارك ، التى استودعها أسرار الكنيسة المقدسة ... نحن ، كما يقول الرسول بولس « أعضاء جسمه (جسم المسيح) من لحمه ومن عظامه » (أفسس ٥ : ٣٠) ... لذا فنحن نتعامل بقوته التى قهر بها إبليس وهو بالجسد ... وطالما نحن متحدون بالرب فنحن

لا ننهزم لكن الهزيمة تحيق بنا وتلحقنا حينما ننحل نحن من هذه الرابطة المقدسة والوحدة الكائنة معه .

ثالثاً - أعـــوان الشـــيطان :

الشيطان لا يعمل بمفرده ، لكن له أعواناً كثيرين يستخدمهم ويعتمد عليهم فى تنفيذ مخططاته وإرادته ... إنه يتكلم فيهم ويعمل بهم ... ولا يجب الاستهانة بمثل هذه الحرب . فما أكثر المتاعب التى يسببها الناس لاخوتهم ... ومنذ البداية نلاحظه يركن لهذا الأسلوب ، حينما دخل فى الحية وتكلم فيها وأسقط أبوينا الأولين ...

لقد عانى ربنا يسوع المسيح كثيراً من اليهود إخوته ومعلميهم الذين كان الشيطان يتكلم فيهم ، حتى أن السيد المسيح قال لهم فى إحد المرات « أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له إننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله . فقال لهم يسوع ... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (يوحنا ٨ : ٤١ - ٤٤) ... **بل أن حياة المسيح بالجسد على الأرض تقدّم لنا صورة متكاملة لألاعيب الشيطان ، وكيف كان يرسل أعوانه ليتصدوا للمسيح محاولين أن يصطادوه بكلمة** . وقد إستطاع الشيطان أن يحرك الجموع وعلى رأسهم رؤساء كهنة اليهود لكى يُحكم على الرب يسوع بالموت صلباً . وقد قبل المسيح كل ذلك بارادته لأنه لهذا أتى إلى العالم ، لأجل خلاص البشر . وعن ذلك يقول الرسول بولس : « فتفكروا فى الذى (الرب يسوع) أحتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه ، لئلا تكلّوا وتخوروا فى

نفوسكم » (عبرانيين ١٢ : ٣) .

عينة أخرى منِ أعوان الشيطان و ما يمكن أن يفعلوه ، ما ذاقه بولس الرسول من اليهود والأمم على السواء ، بل من بعض المسيحيين الهراطقة الذين دعاهم « إخوة كذبة » (كورنثوس الثانية ١١ ، ٢٦ ؛ غلاطية ٢ : ٤) ... **بل أنه يدعوهم وحوشاً** فيقول « إن كنت كإنسان قد حاربت وحوشاً فى أفسس » (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٢) ... وقد اذاق عملاء إبليس القديس بولس ألواناً من العذاب والضيقات ، حتى أنه قال لأهل كورنثوس « فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الضيقات التى اصابتنا فى آسيا ، إننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى ايسنا من الحياة أيضاً . لكن كان لنا فى أنفسنا حكم الموت لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذى يقيم الأموات . الذى نجانا من موت مثل هذا وهو ينجى » (كورنثوس الثانية ١ : ٨ ـ ١٠) ...

وفى رأيى ، لا علاج لأعوان الشيطان وما أكثرهم ـ سوى الصلاة من أجلهم لكى يفيقوا لأنفسهم ويدركوا أنهم يتممون مشيئة إبليس ، فيثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى صوابهم ، وإلى الرب فيرحمهم .

رابعاً ـ الإنســـــان ذاتــه :

كثيراً ما ينسب الإنسان أخطاءه للشيطان . فيقول الشيطان أغوانى ... الشيطان ضحك عليَّ ... الشيطان اوقعنى ... وهكذا وهكذا ... لكن الأمر بهذه الصورة لا يُعبرّ عن الحقيقة . لكن هناك بعض الأمور نود أن نكشفها

حتى نتفهمها ونحترس منها ...

١ - إن كان الشيطان هو عدو الإنسان الأول ، فليس معنى ذلك أنه هو مصدر جميع المتاعب والخطايا . فكثيراً ما يكون الإنسان نفسه هو مصدر التعب لنفسه ... يقول يعقوب الرسول « لا يقل أحدٌ إذا جُرّب إنى أجرب من قبل الله . لأن الله غير مجرب بالشرور ، وهو لا يجرب أحداً . **ولكن كل واحد يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته** » (يعقوب ١ : ١٣ ، ١٤) ... والرسول بولس يقول « ولكنى **أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ، ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . وَيْحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت** » (**رومية ٧ : ٢٣ ، ٢٤) ... هذا الكلام تصوير للشهوات الداخلية التى تشد الإنسان ... ودون الدخول فى تفصيلات نقول أن هذه الحالة التى يشير إليها الرسول بولس تحتاج إلى جهاد ويقظة روحية .**

نعود إلى ما سبق قوله إن حياة الإنسان الذى يريد أن يكمل الطريق إلى الله يجب ألا تخلو من الجهاد « لا نكلل إن لم نجاهد قانونياً » (تيموثاوس الثانية ٢ : ٥) . والجهاد سمة فى حياة الإنسان على المستوى الاجتماعى المادى وعلى المستوى الروحى ... فبدون جهاد لن يحقق الإنسان لنفسه ما تصبو إليه ... كل شيء يحتاج إلى تعب ومشقة لقد كان هتاف النصرة الذى انبعث من قلب المجاهد العظيم بولس الرسول « **وأخيراً وضع لى إكليل البر** » ، حينما كان قاب قوسين أو أدنى من الاستشهاد ، مصدره أنه جاهد الجهاد الحسن وأكمل السعى (تيموثاوس

الثانية ٤ : ٧) ... نعم لقد جاهد هذا الكارز العظيم . حتى وهو فى أوج حياته الروحية ، والرؤى والإعلانات التى كانت تعلن له ، لم يتخلّ عن الجهاد ، بل نسمعه يقول عبارة عجيبة **« أقمع جسدى واستعبده »** (كورنثوس الأولى ٩ : ٢٧) ... طوباك يا معلمنا بولس الرسول ، وطوبى لكل من تتلمذ لك !!

٢ ـ الملل من الطريق :

الإنسان هو الكائن الوحيد القائم باتحاد الروح بالجسد . هو ليس روحاً خالصاً ولا جسداً خالصاً . لكن لكل من هذين العنصرين رغباته ومتطلباته . وهى رغبات متعارضة . فالجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر ، حتى تفعلون ما لا تريدون » (غلاطية ٥ : ١٧) ...

هذا الصراع القائم فى الإنسان لا يعطيه استقراراً وسلاماً وراحة ، إلاّ بأن يُغَلّب الروح على الجسد ، ويصبح الجسد تحت سلطان الروح . لذا يكمل الرسول بولس بعد كلامه السابق مباشرة ويقول « لكن إذا إنقدتم بالروح (الروح هى التى صار لها القيادة) فلستم تحت الناموس . وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة ... ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات . إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح » (غلاطية ٥ : ١٨ ـ ٢٥) .

قد يلحق الإنسان الملل من طول الطريق . أولاً لأنه لا يرى شيئاً أمامه ، والإنسان يتأثر بالمحسوسات . وثانياً ، ربما حاربه الشيطان بالشك

فى كل مواعيد الله ... بل فى وجود الله ذاته ، والسماء والأبدية **!! لكن على الإنسان أن يجعل هدفه واضحاً فى حياته الروحية ، وإيمانه فى الله صادقاً . وعليه أن ينمّى حبه لله لحظة بعد أخرى ، يحسّ برفقة الرب يسوع له فى الطريق ...** حينئذ يستهين بكل مصاعب الطريق ، متشبهاً بالمسيح نفسه ... « **لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة . ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا . ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع ، الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله . فتفكروا فى الذى إحتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه ، لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم . لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية** » (عبرانيين ١٢ : ١- ٤) .

الرب يبارك على الكلمة ، ويكشف أمامنا كل حيل إبليس ، ويُبطل مكايده ، ويقوينا فى ضعفاتنا ، ويعيننا فى الطريق إليه ، وله كل المجد .

مشـــجعات الطـــريق

- الفهم السليم لمصاعب الطريق .
- رفقة الرب يسوع للسائرين فى الطريق .
- المجد الذى ينتظر كل السائرين فى الطريق .
- المسيح يعتبر كل ما يحلّ بنا ، إنما يحدث له .
- التطلع الدائم للصليب .
- تعزيات الله للسائرين فى الطريق إليه .
- الصـــبر والرجـــاء .

فى العظة الماضية تكلمنا عن مصاعب الطريق إلى الله ، وقلنا إن هذا الأمر غير مستغرب لأنه يتعلق بطبيعة هذا الطريق ... تكلمنا عن الشياطين فى الطريق وأعوانهم ، وختمنا موضوعنا بالكلام عن الإنسان بما فيه ، وما يعانيه من ضعف يشكل صعوبة فى هذا الطريق ... وفى هذا المساء نرفع قلوبنا إلى الله لكى ما يهبنا نعمة أن نتكلم عن مشجعات الطريق إلى الله ... وإذا كان معلمنا بولس الرسول يقول إن هبة النعمة ليست كمثل الخطية (رومية ٥ : ١٥) ، فبكل تأكيد ، فإن مشجعات الطريق تفوق مصاعبه ... والآن نتقدم لنستعرض هذه المشجعات ...

أولاً - الفهم السليم لمصاعب الطريق :

١ - لعل أولى مشجعات الطريق هى الفهم السليم لمصاعب هذا الطريق . إنى أؤكد على هذه النقطة بالذات ، لأن أى سوء فهم لمصاعب الطريق قد يُطوّح بالإنسان فى هوة اليأس . واليأس من أمضى أسلحة الشيطان .

الحرب الروحية التى يتعرض لها المجاهد السائر فى طريق الله ، إنما هى بمثابة اعلان أن هذه النفس تتمتع بنعمة الله . هى حرب يعلنها عدو الخير على المجاهد الحقيق . فلا خوف من ذلك ، ولا محل لأفكار اليأس التى يحاول عدو جنسنا أن يدخلها إلى نفوسنا . فليس معنى الحرب الروحية أن هذا الإنسان الذى يحارب هو إنسان شرير وساقط ولا فائدة منه ... على العكس من ذلك تماماً ... إذا كان هذا الإنسان شريراً ، وفى قبضة الشيطان ، وهو عميل دائم يتعامل معه ، وبينهما

حساب ومعاملات ، فإن الشيطان لا يحارب هذا الإنسان ، لأنه من خاصته ... الذين له هو لا يحاربهم ... ولكنه يتجند لمحاربة إنسان ليس من خاصته !!

وعدو الخير يحاول أحياناً أن يلقى فى روع الإنسان الذى يحاربه أنه شرير ، وطبيعته غير طبيعة بقية الناس ، لذا يحارب بشدة ، وأنه الوحيد الذى يحارب هكذا ... حينما يذهب للأب الكاهن ليعترف - و يكون أعترافه متكرراً فى خطية معينة - وهذا أمر طبيعى أن يجاهد الإنسان ضد خطية معينة أو شهوة معينة مدة طويلة ، **قد تصل أحياناً إلى** سنين ، وهذا واضح فى سير القديسين ... وقتها يقول له عدو الخير : « **على أى شىء ستعترف ، وما فائدة اعترافك . ما قلته منذ سنة ستكرره الآن ، وسوف تقوله وتردده ... أنت لا فائدة منك . لماذا تتعب نفسك . أنت فى وضع سىء . تحرم نفسك من متع الدنيا وملذاتها ، وفى نفس الوقت لا تتمتع بالحياة الروحية التى يتمتع بها أولاد الله الحقيقيون** ... » .

وقد يأتى إليه بفكر آخر يقول له فيه : « **أنت أفضل أن تظل بعيداً عن الكنيسة والاعتراف والتناول حتى تصلح من ذاتك ، وبعدها تذهب لتعترف اعترافاً حسناً . أما الآن فإنك تذهب للاعتراف وتضحك أبونا عليك ، ويأخذ عنك فكرة سيئة** » . طبعاً هذا الكلام مردود عليه ... **فالإنسان لا يذهب للطبيب بعد أن يكون قد شُفى من علته ، بل يذهب وهو يعانى منها . قال رب المجد « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى »** .

قد يتضايق مثل هذا الإنسان ... حسناً ، لكن هذه المضايقة ليست دليلاً على فشله ، بل على العكس تماماً ، إنها دليل على حيويته ... ومعنى حيويته أنه حىّ وليس ميتاً . فالإنسان الميت روحياً لا يحسّ ولا يشعر . فالإنسان حينما يُجرح يحس بالألم ، لكن ممكن أن يزيل بسلاح بعض الجلد الميت (خلايا ميتة) من قدمه مثلاً دون أن يشعر بأى ألم !! أما السبب فلأن هذا الجزء ميت ... والمريض بالفالج (الشلل) لا يحس بوخز الإبرة فى أعضائه المشلولة ، لأنها فقدت الحساسية .

فكونك تتألم هذا شىء لا يدعو للخوف بقدر ما يدعو للطمأنينة . إنه علامة صحية ... بل أقول لكم إن الألم النفسى الذى يتحمله الإنسان متغصباً بسبب حروب الشهوة والأفكار الشريرة مثلاً ، هذا الألم يحسب له إكليلاً ... من المفيد أن نتأمل قول الرسول بولس عن الرب يسوع **« بل مجرّب فى كل شىء مثلنا بلا خطية »** (عبرانيين ٤ : ١٥) ... **أى أن المسيح له المجد جُرّب مثلنا . إذن فالتجربة لا تعنى الفشل والسقوط . وليس كل تجربة معناها أن الخطأ فى جانب الإنسان** . ولا تظنوا خطأ أن الإنسان المنتظم فى حياته الروحية ، المداوم على الصلوات والتناول ، لا يقترب منه الشيطان أو يجربه . بل أنه ربما استهدف للحرب أكثر ... إذا كان الشيطان قد تجاسر وتقدم إلى المسيح ليجربه . أفلا يجربنا نحن ؟!!

٢ ـ لا يوجد شىء يدعو الشيطان للهياج علينا سوى تمسكنا بالرب يسوع وطريقه . إنه مستعد لمهادنتنا لو تركنا المسيح ... لكن إن كان الأمر كذلك فمرحباً بالضيقات والآلام ... هنا نفهم السر المختفى

وراء كلمات القديس بولس الرسول « لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح » (كورنثوس الثانية ١٢ : ١٠) ... إنه نفس الرسول الذى قال فى شبه تحدٍ « من سيفصلنا عن محبة المسيح ... » (رومية ٨ : ٣٥) .

٣ ـ لنتأكد أنه مع كل تجربة يسمح بها الرب لأولاده ، هناك بركة خاصة ، ومحبة ومعونة يدخرها الله للمنتصرين فى حروبهم الروحية ... حينما تدوى ابواق الحرب الروحية معلنة بداية المعركة ، معنى ذلك أنه يجب علينا أن نزود أنفسنا بمزيد من شحنات القوة الإلهية لمجابهة المعركة ... **إن الله بسماحه بالتجارب والضيقات التى تأتى علينا ، إنما يعطينا فرصة لكى نتمم وصيته « اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء » (متى ٦ : ٢٠) .**

٤ ـ إن الخلاص الذى أتمه الرب على الصليب معلناً ذلك بقوله « قد أكمل » ، ليس معناه أن القضية كلها برمتها قد إنتهت ... لقد إنتهى وكمل ما يختص بالله من جهة خلاصه للإنسان ... لكن على الإنسان دوراً يضطلع به . يقول عن ذلك معلمنا بولس « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فيلبى ٢ : ١٢) ... **إن التجارب هى الفرصة التى عينها الله للإنسان ليتمم خلاصه ، فلا يجب أن نهرب منها .**

٥ ـ كلما ثقلت الضيقة وأشتدت التجربة ، كان معنى ذلك أن الشيطان يشّن علينا هجوماً شرساً ، لأنه يرى فينا نعمة خاصة ، وإنه

قلق ومنزعج لهذا السبب ، وإلاَّ لما احتاج الأمر منه إلى ذلك ... فى ذلك الوقت لنتشدد ونتشجع ... وعلينا أن نشجع ذواتنا ، ونقول لأنفسنا مع المرتل : « **لماذا أنتِ منحنية (حزينة) يا نفسى ولماذا تئنين فىَّ (لماذا تزعجيننى) . توكلى على الله فإنى أعترف له . خلاص وجهى هو إلهى** » (مزمور ٤٣) .

٦ ـ الحروب الروحية تنطوى على كثير من نقاط التعزية التى يجدها المسيحى المجاهد ، ومن ثمّ يتعزى ويفرح ويبتهج .

ثانياً ـ رفقة الرب يسوع للسائرين فى هذا الطريق :

لعل أكبر مشجع فى هذا الطريق ، هو إحساس الإنسان السائر فى هذا الطريق برفقة الرب يسوع ، وكذا برفقة القديسين والملائكة ... وسبق أن تكلمنا عن هذه النقطة فى موضوع « رفاق الطريق » ... إن الرب يسوع هو رفيق الطريق . يرافقنا فى المسيرة ... نسير معه ، ونسير به ، ونسير فيه « أنا هو الطريق » . يكفى أن يكون الإنسان فى رفقة الرب يسوع وفى حضرته ... إن هذا يقودنا لتذكر موضوع التجلى والتأمل فيه ...

أخذ المسيح له المجد ثلاثة من تلاميذه هم بطرس ويعقوب ويوحنا إلى جبل عالٍ منفردين . وهناك تغيّرت هيئته ، وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور . ثم ظهر موسى وإيليا ، وكانا يتكلمان معه . أُخذ بطرس بهذا المنظر وجماله فقال للرب « **جيد أن نكون ههنا . فإن شئت نصنع هنا ثلاث مظال ، لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا**

واحدة » (متى ١٧ : ١ - ٨) ... **« جيد يارب أن نكون ههنا » ... هذا هو الإحساس الذى يعمّ الإنسان حينما يكون فى حضرة الرب أو رفقته ... إنه ينسى كل شىء حتى ذاته « معك لا أريد شيئاً »** (مزمور ٧٣ : ٢٥) .

ثالثاً - المجد الذى ينتظر السائرين فى هذا الطريق :

الإنسان يعيش ويحيا على الأمل ... على أمل الراحة بعد التعب . وعلى أمل المجد بعد المشقة . على أمل الغنى بعد الفاقة والعوز ... هكذا نشجع الناس فى هذه الحياة المملوءة مشقات واتعاب ، والخليقة كلها تئن ... نحن نشجع الطالب أواخر العام أن يبذل قصارى جهده ، فإن النجاح ينتظره ، والمستقبل الزاهر ينتظره ، والراحة بعد التعب والجهاد تنتظره ... **هكذا فى حياتنا الروحية ، نحن نجاهد ونتعب ونحرم أنفسنا من كل راحة ومتعة أرضية على أمل المجد الأبدى الذى ينتظرنا فى السماء** ...

على أن هذا التعب الذى نتعبه ، والحرمان الذى نعانى منه ، لا يقارنان بالمجد الذى ينتظرنا فى السماء ... يقول معلمنا بولس **« فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا »** (رومية ٨ : ١٨) ... ويتأمل فيما تنشئه الضيقات لنا من المجد فيقول **« خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً . ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ، بل إلى التى لا ترى . لأن التى ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية »** (كورنثوس الثانية ٤ : ١٧ ، ١٨) وواضح أن الرسول هنا يعتبر ضيقات الحياة خفيفة ووقتية ،

إذا ما قورنت بثقل المجد الأبدى !!

إن المسيح إلهنا بتجسده رفع من قدر البشر الترابيين ، وجعلهم بحسب تعبير بطرس الرسول « **شركاء الطبيعة الإلهية** » (بطرس الثانية ١ : ٤) . وكما تقول الكنيسة فى تسبحة يوم الجمعة عن المسيح أنه « **أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له** » ... أخذ جسدنا وجعله واحداً مع لاهوته ، فصرنا بذلك شركاء الطبيعة الإلهية ... أخذ ضعفنا وأعطانا قوته ، حمل خطايانا فى جسده على الصليب ، وأعطانا الخلاص منها ، ذاق المرارة ليعطى لحلقنا الحلاوة ... لذا فإن الرب يسوع هو الأخ البكر للخليقة الجديدة « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه **ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين** » (رومية ٨ : ٢٩) ... نعم لقد صار الرب يسوع أخ البشرية البكر فى الخليقة الجديدة ، بعد أن أعطانا صورته فى البر ومعرفة الحق ...

لقد أعطانا الرب يسوع مجداً عجيباً حتى أنه قال « **الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها** » (يوحنا ١٤ : ١٢) . **انظروا أيها الإخوة المجد الذى ينتظر كل السائرين فى هذا الطريق ... مجد عاجل ، ومجد آجل . مجد فى هذه الحياة ، ومجد فى الحياة الأخرى . نأخذ بعض أمثلة للمجد الذى لنا فى العالم .**

كان آخاب ملك إسرائيل قد صنع الشر فى عينى الرب أكثر من جميع من سبقوه ، وتزوج ايزابل وتركا عبادة إله إسرائيل . **وكان إيليا**

النبي يعيش فى ذلك الوقت ... ذلك الرجل المتقدّ غيرة على مجد الرب ... ولم يكن إيليا إلاَّ « إنساناً تحت الآلام مثلنا » (**يعقوب ٥ : ١٧) ... إيليا هذا قال لآخاب « حيٌّ هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه ، إنه لا يكون طلٌّ ولا مطر فى هذه السنين إلاَّ عند قولى » (ملوك الأول ١٧ : ١) ...**

وبلاد فلسطين ليست كبلاد مصر يعتمد الناس فيها على مياه النهر فى الشرب والزراعة . هناك مصدرهم الأساسى مياه الأمطار للشرب والزراعة ... وكان نتيجة كلام إيليا أن السماء قُفلت ثلاث سنين وستة أشهر . وكاد الناس أن يهلكوا ، لكن الله - القادر على كل شيء - لم يستطع أن ينزل مطراً لأن إيليا لم يقل ان تنزل المطر ثانية . فقال الله لايليا بعد هذه المدة « اذهب وتراءَ لآخاب فأعطى مطراً على وجه الأرض » وكان الرب يريد أن ينهى هذه الحالة من الجدب والمجاعة ، التى كادت تهلك الناس - المهم أن إيليا بعد أن صلى نزلت المطر (ملوك الأول ١٧ ، ١٨) ... **وبالاضافة إلى إيليا لدينا يشوع بن نون تلميذ موسى وخليفته فى قيادة شعب الله . هذا أوقف الشمس فى كبد السماء نحو يوم كامل دون غروب بينما كان يحارب الأموريين وحلفاءهم ... هذين مثلين من العهد القديم ...**

نقدم من العهد الجديد مثلين هما الرسولان بطرس وبولس :

يقول كاتب سفر الأعمال « وجرت على أيدى الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب ... وكان مؤمنون ينضمون للرَّب أكثر ، جماهير من رجال

ونساء . حتى أنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً فى الشوارع ، ويضعونهم على فرش وأسرة ، حتى إذا جاء بطرس يخيّم ولو ظله على أحد منهم . واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة ، وكانوا يبرأون جميعهم » (أعمال الرسل ٥ : ١٢ - ١٦) ... نحن لم نقرأ عن المسيح له المجد أن ظله كان يشفى الأمراض ويخرج الأرواح الشريرة . لكن العل بطرس أعظم من سيده ؟! كلا بطبيعة الحال . لكنه اتمام لقول المسيح ووعده أن من يؤمن به يعمل الأعمال التى يعملها هو وأعظم منها (يوحنا ١٤ : ١٢) .

فإذا اتينا إلى **معلمنا القديس بولس الرسول** ، نجد كاتب سفر الأعمال يقول عنه « **وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة . حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم** » (**أعمال الرسل ١٩ : ١١ ، ١٢**) ... هذه المناديل أو المآزر التى يلقيها بولس عن جسده هى الضمادات وكانت مليئة بالميكروبات والقذارة . فقد قيل عن شوكة الجسد التى أشار إليها بولس وكان يعانى منها (كورنثوس الثانية ١٢ : ٧) ، إنها كانت جرحاً فى جسده يفرز صديداً و يضع عليه المناديل أو المآزر (بدل أربطة الشاش والقطن الحديثة) ... وعلى الرغم من أنها كانت محملة بالميكروبات ، فقد كانت تشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة !! **من كان يُصَدِق هذا لو لم يسجله الوحى الإلهى فى الكتاب المقدس !!**

وماذا عن القديسين والشهداء الذين مازالت تجرى على

أسمائهم قوات وعجائب كثيرة إلى يومنا هذا ... لكننا اكتفينا بما أوردناه من الكتب المقدسة المنزهة عن الخطأ حتى لا يتطرق الشك إلى أذهان البعض من أن أمثال هذه القصص هى من خيال الكتّاب وحدهم ... حقاً « عجيب هو الله فى قديسيه » ... هذا عن المجد الذى يمجد الرب به المؤمنين باسمه والسائرين فى طريق هذا العالم .

أما بالنسبة للعالم الآتى - أى السماء ، فما أكثر ثقل المجد الذى ادخره الله لقديسيه واتقيائه !!... لقد أعلن طرف بسيط من هذا لدانيال النبى فى العهد القديم فرأى وكتب « **والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد ، والذين ردّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور** » (دانيال ١٢ : ٣) .

لننتقل الآن إلى ما كشفه رب المجد لنا فى العهد الجديد ، وما أعلنه الروح القدس على لسان رسله الأطهار . قال الرب يسوع : « أنا أمضى لأعدّ لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ، آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ . **حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً** » (يوحنا ١٤ : ٢ ، ٣) ... ما هذا ؟ حيث يكون الرب يسوع نكون نحن !! ما هذا المجد الذى أعددته وادخرته يارب لمحبيك ؟!!

ربما ظن البعض أن هذا الكلام خاص بالرسل . لكنه يخص جميع المؤمنين ... وقد كشف لنا الرب يسوع عن ذلك فى مناجاته الوداعية مع الله الآب التى دونها يوحنا فى إنجيله . يقول « **ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ... وأنا قد**

أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ، ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن أيضاً واحد » (يوحنا ١٧ : ٢٠- ٢٢) ...

والقديس بولس الرسول يؤكد هذه المكانة العظيمة التى للمؤمنين فى شخص المسيح الفادى ، متحدثاً عنها بصيغة الماضى تأكيداً ليقينيتها ، يقول « وأقامنا معه ، وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع » (أفسس ٢ : ٦) ... و يكتب معلمنا بطرس الرسول إلى المؤمنين ... « كما اشتركتم فى آلام المسيح ، **افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين** » (بطرس الأولى ٤ : ١٣) ...

وما أكثر ما ذكره القديس بولس فى رسائله :

إنه يصلى لأجل أهل أفسس ، و يطلب لهم استنارة عيون أذهانهم ليعلموا ما هو رجاء دعوته « **وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين . وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين** ، حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح » (أفسس ١ : ١٥- ٢٠) . و يقول لمؤمنى كولوسى « لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله . متى أُظهر المسيح حياتنا **فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد** » (كولوسى ٣ : ٣ ، ٤) . و يكتب إلى مؤمنى رومية : « والذين دعاهم فهؤلاء بررهم ايضاً ، **والذين بررهم فهؤلاء مجدّهم أيضاً** » (رومية ٨ : ٣٠) ... و يكتب إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس « صادقة هى الكلمة **إنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه . إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه** » (تيموثاوس الثانية ٢ : ١١ ، ١٢) ... ومن أجل هذا اليقين فى المجد فإن

الرسول بولس يستهين بكل الآلام ، معلناً أن « **آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا** » (رومية ٨ : ١٨) .

أما سفر الرؤيا الذى يتكلم عن الأمور العتيدة أن تكون فى العالم الآتى ، فيكشف لنا عن مجد القديسين مع المسيح فى السماء ...

يقول يوحنا الرائى « ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً . ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة المسيح يسوع ، ومن أجل كلمة الله . والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ، ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم ، **عاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة** » (رؤيا ٢٠ : ٤) ...

رابعاً - رفقتنا للمسيح تجعله يعتبر كل ما يحلّ بنا ، إنما يحدث له شخصياً .

المسيح له المجد - ونحن برفقته فى هذا الطريق - يعتبر أن كل ما يأتى على أولاده من ضيقات وآلام ، إنما يأتى عليه هو شخصياً ... ولا عجب فقد صرنا « أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » (أفسس ٥ : ٣٠) ... « ألستم تعلمون أن **أجسادكم هى أعضاء المسيح** . أفآخذ **أعضاء المسيح** وأجعلها أعضاء زانية » (كورنثوس الأولى ٦ : ١٥) .

لا عجب إذن ، إذا كان المسيح يعتبر كل الإهانات والضيقات والآلام التى تأتى على أولاده إنها موجهة إليه شخصياً ... لقد صرنا جزء منه ، لأننا صرنا واحداً معه ... كل ما يُفعل لأولاده من خير يعتبره انه

عمل معه هو... ولعل هذا يتضح من تصوير السيد المسيح لمشهد الدينونة الأخير، حينما يمتدح الأبرار بقوله « تعالوا إليَّ يا مباركى أبى رثوا المُلك المعدّ لكم منذ تأسيس العالم . لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريباً فآويتمونى ، عرياناً فكسوتمونى ، مريضاً فزرتمونى ، محبوساً فأتيتم إلىَّ . **فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين متى رأيناك جائعاً فاطعمناك ، أو عطشاناً فسقيناك . ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك . ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك . فيجيبهم الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم** » (متى ٢٥ : ٣١ - ٤٠) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن السيد المسيح حينما أسس كنيسته ، أقام نفسه مسئولاً عنها مسئولية مباشرة . ونعنى بالكنيسة هنا أعضاءها من المؤمنين به... **من هنا أيضاً نفهم كلمات الرب يسوع لشاول الطرسوسى فى لقائه به على مقربة من دمشق** « شاول شاول لماذا تضطهدنى . فقال من أنت يا سيد . فقال الرب **أنا يسوع الذى أنت تضطهده** » (أعمال الرسل ٩ : ٤ ، ٥) ... ولقد تم هذا اللقاء بعد أن اتعب شاول الطرسوسى هذا (بولس الرسول) الكنيسة . فلقد أشترك فى رجم استفانوس شهيد المسيحية الأول ، وزج بكثير من الرجال والنساء فى السجون (أعمال الرسل ٢٢ : ٤) ... وبالجملة فإنه كان يضطهد كنيسة الله بافراط ويخربها (غلاطية ١ : ١٣) ... **تأملوا فى كلمات المسيح لشاول « أنا يسوع الذى أنت تضطهده » وواضح أن السيد المسيح أعتبر اضطهاد أولاده اضطهاداً له !!**

وفى وعد المسيح لتلاميذه « فى العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يوحنا ١٦ : ٣٣) ، ما يوضح الفكرة التى نعرض لها ... المسيح يكلمنا « سيكون لكم ضيق » و بعدها يقول : « لكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » ... إن كلمة « لكم » يقابلها « أنا » !! كلمتان غير منفصلتين ، والمعنى أنتم لستم وحدكم ، بل أنا معكم . ومادمت أنا قد غلبت العالم فستغلبون أنتم ... هكذا نرى أن الأمر متعلق بالمسيح شخصياً . لذا يقول الرسول بولس للمؤمنين : « إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً . وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند إستعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته » (تسالونيكى الثانية ١ : ٦ ، ٧) .

نحن أولاد الله . هذا أمر لا شك فيه ... فأى أب يرى أولاده متعبين ومتضايقين ولا يبالى بتعبهم وضيقتهم ، فى الوقت الذى يستطيع أن ينقذهم ويريحهم ... إذا كان هذا لا يحدث على المستوى البشرى ، فهل ننتظر هذا الصنيع من الله ؟!... قال رب المجد يسوع أى إنسان منكم إذا سأله إبنه خبزاً يعطيه حجراً . وإن سأله سمكة يعطيه حيّة . فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة . فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه » (متى ٧ : ٩ - ١١)... هل تحبون أولادكم ، والله الحنون لا يحب أولاده ؟!

أيها الإخوة ، إن مواعيد الله ثابتة منذ القديم لأولاده ... يقول بفم إشعياء النبى : « هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم إبن بطنها . حتى

هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك . هوذا على كفى نقشتك » (إشعياء ٤٩ : ١٤ - ١٦) ... و يعلق القديس يوحنا ذهبى الفم على عبارة : « على كفى نقشتك » فيقول إن الرب لم ينقشنا على كفه بمداد وقلم ، بل بالمسامير التى ثقبت يديه على الصليب !!... و يقول السيد الرب بفم زكر يا النبى **« لأنه هكذا قال رب الجنود ... من يمسّكم يمسّ حدقة عينه »** (زكر يا ٢ : ٨) ... و يقول بفم أرميا النبى عن نسل يعقوب « واعاقب كل مضايقيهم » (أرميا ٣٠ : ٢٠) . كما يقول بفم إشعياء النبى **« فى كل ضيقتهم تضايق ، وملاك حضرته خلصهم »** (إشعياء ٦٣ : ٩) . أى أنه حينما يتضايق شعبه ، فهو يتضايق أيضاً معهم !!

هذا الكلام ليس كلاماً نظر ياً ، بل إن آلام الشهداء التى تفوق التصوّر والوصف ، إحتملها الرب يسوع عنهم !! وسأروى لكم قصة الشهيدة فيليسيتاس (سعدى) من قرطاجنة بشمالى أفر يقيا ... كانت أمَة (عبدة) ورفيقة للشهيدة الشر يفة الأصل الشهيرة بر بتوا . كان الإثنان فى صفوف الموعوظين المهيئين لقبول العماد حين قبض عليهما ... كانت فيليسيتاس فى نحو العشر ين من عمرها ، وكانت متزوجة حديثاً ، وحاملاً فى شهرها الثامن ... أنا لا اسرد قصتها كاملة إنما آتى إلى نقطة تهمنى فى سيرتها وقصة آلامها ... لما أتاها المخاض ووجع الولادة فى السجن كانت تصرخ بشدة من الألم ، فقال لها أحد حراس السجن متهكماً [إذا كنتِ لا تستطيعين احتمال هذا الألم ، فكيف ستحتملين أنياب الوحوش ومخالبها ؟] . قالت له [إنى أتألم الآن بحسب الطبيعة ، أما غداً فيتألم عنى آخر هو سيدى يسوع المسيح . اليوم القوة الطبيعية تقاوم الطبيعة ، وفى الغد تنتصر فىَّ النعمة الإلهية على أشد ما أعددتم لى من التعاذيب] ...

سيقت للعذاب وضربت بالسياط ، واطلقت عليها بقرة وحشية نطحتها ثم رفعتها إلى أعلى وطرحتها إلى الأرض بشدة . ولما أفاقت سألت رفيقتها بربتوا [متى سيلقوننا للوحوش ؟] إنها لم تشعر بأى شيء ، وكأنها كانت مستغرقة فى نوم !! أخيراً قطعت رأسها بحد السيف مع رفيقتها بربتوا ...

خامساً ـ التطلع الدائم للصليب والإحساس بأن كل الأتعاب هى شركة آلام مع الرب :

قلنا فى النقطة السابقة أن كل ما يحدث لأولاد الله ، يعتبره الله موجهاً إليه . لكن فى هذه النقطة نقول إن كل أتعاب السائرين فى طريق الرب ، إنما هى من أجله هو. ومن أجله تهون كل الأتعاب والضيقات ...

أيها الأخوة الأحباء ... **فى المسيحية تبدّلت صورة الألم وفعاليته ومذاقته ، فارتفع إلى مستوى الهبة الروحية ... « وهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا أيضاً »** (فيلبى ١ : ٢٩) ... **وُهبَ** لكم لأجل المسيح أن تتألموا . والمعنى أنه كوننا نتألم من أجل المسيح هذه تعتبر هبة إلهية ... والترجمة الحرفية لهذه الآية هى « لأنه أنعم عليكم أن تتألموا من أجل المسيح » ونلاحظ أن الإيمان والألم يسيران جنباً إلى جنب . وكأن الإيمان والألم صنوان لا يفترقان !!

إن الرب يسوع يُحصى الضيقات ضمن البركات التى يعوض بها كل من ترك شيئاً من أجله وتبعه ... قال بطرس الرسول للسيد المسيح

بلسان بقية التلاميذ « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » . فردّ عليه الرب « ليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل ، إلاً و يأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً ، **مع اضطهادات** . وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (مرقس ١٠ : ٢٨-٣٠) . **إنه يحصى الاضطهادات ضمن البركات التى يجازى بها محبيه فى هذا الدهر !!**

لقد أصبح الألم فى المسيحية فى مفهومه الجديد شركة مع الرب المتألم « إن كنا **نتألم معه** ، لكى نتمجد أيضاً معه » (رومية ٨ : ١٧) ... « لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه** متشبهاً بموته » (فيلبى ٣ : ١٠) . هنا يتكلم الرسول عن الألم كشركة مع الرب ... و يقول نفس الرسول لأهل كولوسى : **« أكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى لأجل جسده الذى هو الكنيسة »** (كولوسى ١ : ٢٤) ... و يكتب إلى مؤمنى رومية وهو يربط الألم من أجل الرب بالحب فيقول : « من أجلك نُمات كل النهار ، قد حُسبنا مثل غنم للذبح » (رومية ٨ : ٣٦) ... إنها تعزية كبرى للمؤمن حينما يُحسّ أنه يتألم مع الرب ومن أجله ... حينما قال المسيح على الصليب : « قد أُكمل » ، كان يشير إلى خلاص البشرية جمعاء الذى أكمله بموته المحيى . أما آلام المسيح وشدائده فهى لم تكمل بعد ... إنها تكمل فينا . وعلينا نحن كتعبير عن محبتنا لذاك الذى احتمل عنا كل الآلام ، أن نكمل آلامه . بهذا المعنى نفهم كلمات بولس : **« أكمل نقائص شدائد المسيح »** . إن أعضاء المسيح التى مازالت على الأرض هى التى ينبغى أن تكمل آلام المسيح ...

ونضيف إلى المفهوم السابق مفهوماً آخر من مشجعات الطريق إلى الله ، هو التطلع الدائم للصليب . يجب أن يكون صليب المخلص هو قبلة نظر المسيحى السائر فى الطريق إلى الله . ففى الصليب نرى الحب متجسداً ، متألماً بفرح من أجل من يحبهم . نرى فيه الاحتمال والغفران والبذل ، نرى فيه كل فضيلة ... فالصليب لم يكن للمسيح آلة تعذيب عُذب عليها ، بل صار منبراً علّم من فوقه كل شعوب الأرض كل فضيلة ... والسيد المسيح يدعونا أن نتأمل صليبه وآلامه . لذا قال بلسان أرميا النبى فى مراثيه : « أما إليكم يا جميع عابرى الطريق . تطلعوا وانظروا إن كان حزن مثل حزنى الذى صُنعَ بى » (مراثى ١ : ١٢) ... يقول القديس أوغسطينوس : [إنه لا يوجد شىء نافع للإنسان مثل التأمل فى كل يوم فيما احتمله ابن الله لأجلنا] . وقد شهد أنه لم يجد قط علاجاً أقوى من جراحات المسيح فى كل شىء ... **إن التطلع الدائم إلى صليب المخلص والتأمل فى آلامه يقودنا إلى بركات روحية كثيرة من شأنها أنها تشجعنا فى مسيرتنا الروحية ، نذكر منها :**

١ ـ يقودنا إلى التوبة والندم على خطايانا ، وهذا بدوره يقود إلى الانسحاق . كيف ذلك ؟ حينما يُحسّ الإنسان أنه هو سبب آلام المسيح ... فلولا خطاياى يارب ما كنت تألمت ... ونلاحظ هنا أن السيد المسيح أوفى العدل الإلهى من جهة خطايا جميع البشر من آدم وإلى نهاية العالم . فخطاياى مع خطايا جميع البشر هى السبب فى آلام الصليب ... **نتذكر هنا كلمات إشعياء النبى التى قالها بروح النبوة عن المسيح المتألم : « مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب**

سلامنا عليه . وبحبره (جراحاته) شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وُضِعَ عليه إثمَ جميعنا » (إشعياء ٥٣ : ٥ ، ٦) ... علينا كلما نظرنا إلى الصليب أن نقول : [يارب نحن السبب فى آلامك] . ولنتشبه بيونان الذى لما هاج البحر ولم يكن بحارة السفينة يعرفون سبباً لهياجه - قال لهم « خذونى وأطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم ، لأننى عالم أنه بسببى هذا النوء العظيم » (يونان ١ : ١٢) . إن آلام الصليب هى بسبب خطاياى وشرورى وآثامى الماضية والحالية والمستقبلة]!!

٢ - التأمل فى الصليب ومَنْ صُلِبَ عليه من شأنه أنه يُشعل فينا عاطفة الحب نحو الله . فالمسيح مات عنا حباً فينا ... يقول يوحنا الرسول الحبيب « بهذا أُظهرت محبة الله فينا ، إن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به » (يوحنا الأولى ٤ : ٩) ... والقديس امبروسيوس أسقف ميلان يقول [أنا مديون لك يا سيدى المسيح لأجل الاهانات التى بها افتديتنى ، أكثر مما أنا مديون بقدرتك التى بها قد خلقتنى . لأنه إن كانت خلقتك لى نعمة عظيمة ، لكنك لم تتكلف فيها شيئاً ، بل كنت تقول للشىء كن فيكون . ولكن فى فداء الجنس البشرى ، لم يَجْرِ الأمر هكذا ، بل تكلفت لهذا كثيراً ، واحتملت من أجله كثيراً من الإهانات والأوجاع حتى سفك دمك كله] .

٣ - والتطلع إلى الصليب ومَنْ صُلبَ عليه يؤسس ويقوى فينا فضيلة الشكر والعرفان بالجميل ... يقول يشوع بن سيراخ : « لا تَنْسَ

نعمة الضامن لأنه أسلم نفسه من إجلك » . والمسيح المخلص الوسيط الوحيد بين البشر والله الآب . بعد أن غسل أرجل تلاميذه قبيل تأسيسه لسر الافخارستيا ، قال لهم « **اتفهمون ما قد صنعت بكم** » (يوحنا ١٣ : ١٢) . ليتنا نفهم سر الحب الذى أعلنه الرب بالصليب !!

٤ ـ والتأمل فى الصليب ومَنْ صُلِبَ عليه يقودنا إلى احتمال الضيقات أياً كان مصدرها أو سببها ... يقول القديس بطرس الرسول وهو يرسم صورة بديعة لمسلك المسيح المخلص إزاء الآلام « **فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته . الذى لم يفعل خطية ولا وُجد فى فمه مكر. الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً ، وإذ تألم لم يكن يهدد ، بل كان يسلّم لمن يقضى بعدل** » (بطرس الأولى ٢ : ٢٢ ، ٢٣) ... لنتأمل فى مسلك المسيح مخلصنا حتى لا تفلت أعصابنا إزاء ظلم بعض الناس أو اساءاتهم لنا . **يقول القديس يوحنا التبايسى (الأسيوطى) من نسّاك القرن الرابع الميلادى : [إذا وُجد من يبغضك فلا تحزن ، لأنك لست الوحيد الذى ابغضوه ، فإن سيدك قد ابغضوه من قبلك] ... ويقول الأنبا باخوميوس أب الشركة الرهبانية : [إذا رذلك الناس وافتروا عليك فلا تحزن ، لأن ربك دُعى مختل العقل وبعلزبول وبه شيطان ولم يتذمر. فاقتنِ لك وداعة القلب ، واذكر أن ربك وإلهك سيق كخروف إلى الذبح ولم يفتح فاه] ... والراهب القديس برصنوفيوس يقول : [أذكر الحمل الوديع وكم صبر. فعلى الرغم من أنه لم يكن له خطية ، لكنه احتمل الشتم والضرب وسائر الاهانات والأوجاع حتى الموت]** .

سادساً - تعزيات الله للسائرين فى الطريق إليه :

حينما نتكلم عن تعزيات الله التى يهبها للسائرين فى هذا الطريق ، نتذكر للحال الروح القدس المعزى وعمله فى داخلنا ... قال الرب يسوع : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ... لا اترككم يتامى . إنى آتى إليكم » (يوحنا ١٤ : ١٦ ، ١٨) . أما عن تعزيات روح الله فلا أحد يستطيع أن يصفها أو يعبر عنها ... **ومعلمنا القديس بولس الرسول** الذى خبر هذه التعزيات فى كل ضيقاته التى لا تُحصى لكثرتها يقول « **مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية ، الذى يعزينا فى كل ضيقتنا ، حتى نستطيع أن نعزى الذين هم فى كل ضيقة بالتعزية التى نتعزى نحن بها من الله . لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا ، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً** » (كورنثوس الثانية ١ : ٣ - ٥) . و يكتب إلى أهل تسالونيكى : « وربنا نفسه يسوع المسيح ، والله أبونا ، **الذى أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ، ورجاء صالحاً بالنعمة ، يعزى قلوبكم ،** ويثبتكم فى كل كلام وعمل صالح » (تسالونيكى الثانية ٢ : ١٦ ، ١٧) .

وأود أن أضيف هنا نقطة أخرى ونحن نتحدث عن تعزيات الله ، هو ما اصطلح القديسون على تسميته « **بزيارات النعمة** » ... الإنسان فى حياته الروحية يشعر أحياناً بجفاف روحى . أى أنه لا يشعر بأى تعزية روحية . وفى أحيان أخرى يفتقد الله الإنسان بتعزيات عجيبة ، وتفيض

دموعه بغزارة . لكنها ليست دموع الحزن ، بل دموع الفرح والتعزية والراحة ... هذه يسميها الآباء زيارة نعمة . فى تلك اللحظات يحس الإنسان أنه أمام الله وجهاً ولوجه ، أو أن الله فى داخله . وهنا تتحول يبوسة القلب وجفافه إلى شبع وارتواء من النعمة ...

سابعا ـ الصبر :

لا شك أن الصبر هو من أهم المشجعات فى الطريق الروحى ... يقولون « الصبر مرّ » ... نعم هو مر ، لكن مرارته تؤول إلى حلاوة عجيبة . والسيد المسيح يعلق اقتناء النفس بالصبر . فبعد أن يعرض للضيقات العتيدة أن تصادف المؤمنين فى العالم ، يصف الدواء : **« بصبركم اقتنوا أنفسكم »** (لوقا ٢١ : ١٩) ... **وعن ذلك يقول يعقوب الرسول « عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشىء صبراً ، وأما الصبر فليكن له عمل تام . لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء »** (يعقوب ١ : ٣ ، ٤) ... والترجمة الحرفية لهذه الآية « وأما الصبر فلا بد أن يصحبه عمل تام » ...

نعم الصبر عمل تام ، ولا يوجد شىء آخر يستطيع أن يقوم مقام الصبر أو يعمل عمله ... فكم من مشكلات وأوضاع غير سليمة وظروف قاسية استطاع الصبر أن يحلها و يتغلب عليها ، أو فى القليل يخفف من حدتها ... من أجل هذا يقول معلمنا القديس بولس **« لنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا »** (عبرانيين ١٢ : ١) ... نعم الجهاد يحتاج إلى صبر ... إن بولس يقدمه كعلاج للمؤمنين المجاهدين فى حياتهم **« لأنكم تحتاجون إلى الصبر »** (عبرانيين ١٠ : ٣٦) .

ثامناً ـ الرجـــــاء :

الرجاء فضيلة كبرى من فضائل المسيحية ... هكذا يذكره معلمنا بولس مع فضائل المسيحية الكبرى « أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة » (كورنثوس الأولى ١٣ : ١٣) و يتحدث عن فعاليته فى الرسالة إلى أهل رومية فيقول « **بل نفتخر أيضاً فى الضيقات عالمين أن الضيق يُنشىء صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاء ، والرجاء لا يخزى ،** لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رومية ٥ : ٣ ـ ٥)... والتزكية تعنى النقاوة ، هذه التزكية تولد فينا الرجاء . أما الرجاء فلا يخزى صاحبه . يقول المرتل فى المزمور « **لا أخزى لأنى عليك توكلت** » .

الرجاء يا أحبائى ضد اليأس ، وخطورة اليأس أنه يقود إلى الفشل . والله لم يعطنا روح الفشل ، بل روح النصرة والقوة . هذا ما يفعله الرجاء . إن الكلام عن الرجاء كفضيلة مسيحية موضوع هام ومتسع . إنه يحتاج للتحدث عنه إلى موضوع خاص ومنفصل ، فنحن كما يقول الرسول بولس : « بالرجاء خلصنا » (رومية ٨ : ٢٤).. ولكننا مضطرين للإختصار الشديد لأنه يأتى كنقطة فرعية فى موضوع كبير...

أيها الاخوة الأحباء ، نحن بحاجة إلى الرجاء ... رجاء فى القلب أن الله لن يتركنا أو يتخلى عنا . إن هذا يقودنا إلى النصرة والتوفيق ...

مبارك هو إلهنا الذى احبنا ، وأعطانا رجاء صالحاً بالنعمة ، نسأله أن يشدد قلوبنا ، و يعزى نفوسنا ، و يقوى رجاءنا فيه . وله كل المجد والكرامة دائماً .

هتاف النصرة ... أكملت السعى

- بواعث هتاف النصرة .
- أهمية اكمال الطريق .
- كيف نكمل الطريق .
- فرحة اكمال الطريق .
- لماذا هتاف النصرة .

اليوم أيها الاخوة نصل إلى الموضوع الأخير فى هذه السلسلة الخاصة بآحاد الصوم المقدس لهذا العام ، والتى كان لها عنوان « معالم الطريق إلى الله » ... لقد سرنا بنعمة الله خطوة خطوة حتى ما نتعرف على معالم ذلك الطريق ... ونتحدث اليوم بنعمة الله عن هتاف النصرة أو أكملت السعى . هذا هو نهاية الطريق وخاتمة المطاف ...

يكتب القديس بولس الرسول إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس بينما كان قاب قوسين أو أدنى من الموت ... **« أنا الآن اسكب سكيباً ووقت انحلالى قد حضر . قد جاهدت الجهاد الحسن . أكملت السعى . حفظت الإيمان . وأخيراً قد وضع لى إكليل البر ، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل . وليس لى فقط ، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً »** (تيموثاوس الثانية ٤ : ٦ - ٨) .

النصرة والغلبة ... هذه هى الحياة المسيحية فى اصالتها ونهايتها . فالله لم يُعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح (تيموثاوس الثانية ١ : ٧) ... هكذا قال يوحنا حبيب الرب : « أيها الحبيب فى كل شىء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً كما أن نفسك ناجحة » (رسالة يوحنا الثالثة ٢) ... أما الهزيمة والفشل والارتداد ، فهى بعيدة عن روح المسيحية .

إن جوهر المسيحية هى قيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات . والقيامة ليست حدثاً تاريخياً ، بل هى اختبار الإيمان والحياة مع الرب . إن المدخل إلى المسيحية هو المعمودية التى ننالها بالإيمان على مثال موت الرب ودفنه وقيامته . فنحن نغطس فى مياه المعمودية متشبهين بموته وقبره ،

ونخرج منها على مثال قيامته . هذا ما يوضحه الرسول بولس « **أم تجهلون** أننا كل اعتمد من ليسوع المسيح اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة . لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته » (رومية ٦ : ٤ ـ ٥) .

فقيامة المسيح من بين الأموات ليست حدثاً تاريخياً ، بقدر ما هى حياة جديدة فى الرب يحياها الإنسان ويختبر ثمارها . هكذا عبر بولس **« إن كنتم قد قمتم مع المسيح ، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله » (كولوسى ٣ : ١) وعبارة « قد قمتم » مكتوبة بصيغة الماضى التام . ومعنى ذلك أنها حياة قد عاشوها بالفعل .** إذن فالقيامة حياة ، وهى أيضاً قوة . هى قوة لهذه الحياة ... يقول الرسول أيضاً « لأعرفه وقوة قيامته » (فيلبى ٣ : ١٠) ... إن قيامة المسيح ليست مجرد قصة حدثت منذ نحو حوالى ألفى عام ، إنما هى حياة وقوة . لذا فقد كان موضوع قيامة الرب يسوع من بين الأموات هو الموضوع الأساسى فى كرازة الرسل ...

نعود إلى موضوع هذا المساء « **هتاف النصرة ـ أكملت السعى** » ...

حين كان القديس بولس الرسول أسيراً فى روما فى أسره الثانى على عهد نيرون الطاغية . وبينما كان على قيد خطوات من الموت كتب إلى تلميذه ثيموثاوس يقول « فإنى أما الآن أُسكب سكيباً ، ووقت إنحلالى

قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن. أكملت السعى. حفظت الإيمان. وأخيراً قد وضع لى إكليل البر، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لى فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» ... **كان بولس يرى الموت أمامه، حتى أن الكلمة اليونانية التى ترجمت فى العربية «قد حضر»، تعنى حرفياً فى الأصل اليونانى (واقف إلى جوارى). وكأنه كان يرى الموت واقفاً إلى جواره** ... من أجل هذا فإن كلماته هنا هى فى غاية الأهمية، ويجب أن نتفهمها على حقيقتها.

يقول الرسول **«أنا الآن أُسكب سكيباً»**. والسكيب هو ما كان يسكب و يُصب على التقدمات التى كانت تُقدم للآلهة الوثنية. والمعنى فى الأصل اليونانى، ان دم بولس يُسكب. والدم فى الكتاب المقدس هو الحياة. كان القديس بولس يتأمل وهو يقدم ذاته تقدمة مقبولة على مذبح الحب والبذل والتضحية.

كانت عبارته «أكلمت السعى» هى بمثابة هتاف النصرة خارجة من قلب التهب بمحبة الله، واشتاق إلى خلاص كل أحد. هتاف يعبر عن امانة رسول عملاق أدى رسالته إلى النهاية ... إلى آخر قطرة من دمه ... هتاف صادر من إنسان يرى السماء مفتوحة أمامه، والقوات العلوية تنتظر إنطلاق هذه الروح الطاهرة المجاهدة الحارة فى حبها ... ومن يدرينا، ماذا كان يراه بولس فى تلك اللحظات ؟!

والآن نتقدم فى موضوعنا نستعرض بواعث هتاف النصرة ...

بواعث هتاف النصرة :

لا شك أن هناك بواعث لهتاف النصرة نستعرضها فيما يلى :

١ ـ أهمية اكمال الطريق :

يقولون فى المثل السائر « **البداية نصف العمل** ». لكن هذا التقدير للبداية على أساس بلوغ النهاية . وإلاَّ فما قيمة البداية التى لا تصل إلى النهاية ؟! ما أكثر من بدأوا المسيرة مع الرب ، ولكنهم لم يكملوا الطريق . وبعضهم كانوا من الأقوياء فى حياتهم الروحية . لذا لا نعجب مما قاله سليمان الحكيم « **نهاية أمر خير من بدايته** » ... قد تكون البداية طيبة وقوية . ولكن ما قيمة العمل إن لم يكمل ؟! إنى أنظر إلى أولاد الكنيسة ، أولادنا من الشباب المتحمسين فى حياتهم الروحية ، وارفع قلبى إلى الله وأطلب لهم المعونة لاكمال الطريق ... لا ينبغى أن يكون فرحنا فرحاً وقتياً وسريعاً ، إنما ينبغى أن يكون فرحنا متعقلاً . فليس المهم البداية ، إنما المهم النهاية . **من أجل هذا قال المسيح له المجد « الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) . لم يقل يصبر واكتفى ، ولكنه حدد الأمر واوضحه بقوله « إلى المنتهى »** .

حدث فى زمان الاستشهاد أن استشهد أربعون شهيداً فى مدينة سبسطية بآسيا الصغرى ... كان هؤلاء جنوداً يحاربون ضمن الجيش الرومانى فى أرمينيا وكان الرومان فى وثنيتهم المتأصلة يحملون معهم

زمن الحروب تماثيل إلهتهم ومعبوداتهم ، إيماناً بمؤازرتهم لهم فى معاركهم الحربية . وكان بين الحين والآخر تؤدى الطقوس الدينية لهذه الآلهة . وكان على جميع المقاتلين أن يضحوا لهذه الآلهة استجلاباً لرضاها ... وفى نفس الوقت اشاع أعداء المسيحية ، مع كل هزيمة حلت بالجيش الرومانى ، أو مع كل كارثة من كوارث الطبيعة ، أن ذلك إنما حدث لأن الآلهة غاضبة بسبب وجود المسيحيين ... رفض هؤلاء الجنود الأربعون - وكانوا مسيحيين - التضحية لهذه الآلهة ... خيَّروهم بين الموت والحياة . ففضلوا الموت مع المسيح . وكان حكم الموت الصادر ضدهم أن يلقوا عراة فى بحيرة متجمدة المياه من شهدة البرودة ... وكنوع من الإغراء ، أقاموا على حافة البحيرة حماماً فيه ماء ساخن . ونفذ هذا الحكم فى حراسة الجند . أى أن الجنود يظلوا معهم حتى يلفظوا أنفاسهم ... وبينما كان هؤلاء الجنود المسيحيون يعانون من سكرات الموت ، إذ بجندى من جنود الحراسة الوثنيين يرى منظراً عجيباً . لقد رأى تسعة وثلاثين إكليلاً بهياً نورانياً هبطت من السماء ، ومعلقة فوق رؤوس تسعة وثلاثين من الجنود . ورأى اكليلاً مشابهاً ، معلقاً فوق رأس الجندى الأربعين ، لكنه كان يتذبذب صعوداً وهبوطاً دون إستقرار ... وفجأة خرج ذلك الجندى من وسط جليد البحيرة ، واندفع نحو حمام الماء الساخن ، فلقى حتفه وخسر إكليله ... هذا المنظر الذى أُعلن لذلك الجندى الوثنى الذى كان يحرس هؤلاء المسيحيين ، جعله يخلع سترة الجندية ويندفع نحو البحيرة ، معلناً إيمانه بالمسيح ، واستشهد مع الباقين وفاز بالإكليل ... أما الجندى الذى لم يصبر إلى المنتهى ، فقد خسر إيمانه ، وخسر

إكليله ، وخسر المجد الأبدى ، وفى نفس الوقت مات مع زملائه الذين ماتوا شهداء !!... لقد خسر هذا المسكين العالم والأبدية . ولو صبر قليلاً واحتمل لشارك إخوته مجد الشهادة . كان بينه وبين النهاية خطوات قليلة وزمن قليل ... ولكن لأنه لم يصبر ويكمل الطريق إلى نهايته ، فقد خسر كل شىء !!

وأهمية الصبر إلى المنتهى ، أنه هو الذى يبيّن قيمة العمل ، والدافع إليه ، والثبات فيه . إن العمل يُمتحن بالصبر وقيمته فى اكماله . يقول السيد المسيح إلى ملاك (خادم) كنيسة سميرنا (ازمير) « **كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة** » (رؤيا ٢ : ١٠) ... ونلاحظ أن الرب لم يكتف بالقول « كن أميناً » ، فهذا ليس كل المطلوب ، وإنما المطلوب أن يكون الإنسان أميناً إلى النهاية أى إلى الموت باعتباره نهاية الحياة ... والجعالة أو المكافأة ترتبط باكمال الأمر واتمامه ، وقطع المسيرة كلها .

كان يهوذا تلميذاً للمسيح ، صحبه فى كل جولاته الكرازية ، ورافقه فى كل ما علّم به ، شأنه فى ذلك شأن بقية الرسل التلاميذ . لكن الشيطان لعب بأفكاره وقلبه ، وذهب وتشاور مع الكهنة ورؤسائهم ، **وانتهى أمره إلى نهاية محزنة** حيث أسلم معلمه خيانة وانتحر ...

والقديس بولس الرسول يذكر لنا فى رسائله عينات ممن لم يكملوا الطريق ... فيشير إلى ديماس الذى تركه إذ أحب العالم الحاضر

(تيموثاوس الثانية ٤ : ٩) . وفى الرسالة إلى أهل فيلبى يشير إلى أناس كان يذكرهم لهم مراراً - كنماذج طيبة - ولكنه يذكرهم الآن باكياً إذ هم أعداء صليب المسيح (فيلبى ٣ : ١٨) ...

ونحن لدينا ضحايا كثيرين لهذه المأساة المؤلمة ... الشباب الذين يظلوا أوفياء لله ، امناء فى محبتهم له ويخدمونه حتى نهاية المرحلة الثانوية أو الدراسة الجامعية . وما أن يدخل خضم الحياة العامة بالوظيفة ، حتى يترك هذا الطريق كلية ، لأنه وضع قلبه فى السعى وراء المادة وجمع المال ... أنا لا انكر صعوبة الحياة وقسوتها وارتفاع موجة الغلاء فى هذه الأيام ، لكن لنسمع ما قاله المسيح له المجد : **« لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطى الإنسان فداءً عن نفسه »** (متى ١٦ : ٢٦) .

وثمة عينة أخرى من أولاد الكنيسة - شباب وشابات - تظل ملتصقة بالكنيسة ، مواظبة على حياتها الروحية حتى ترتبط بالزواج . بعدها ينقطعون عن المحيط الروحى ... إن أمثال هؤلاء يقتلون انفسهم بأنفسهم ، وأنا لا أعرف سبباً لذلك . إن السير فى طريق الله يحتاج إلى الالتصاق الدائم به . الإنسان بذاته ضعيف ، وهو بدون الله عدم ، و يقوى عليه أعداؤه ... **لقد شبهوا المحبة بالنار المتأججة** « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ، والسيول لا تغمرها » (نشيد الأناشيد ٨) . **والنار لكى تظل مشتعلة ومتأججة تحتاج إلى ما يغزيها كالوقود مثلاً . فإن نحن ابتعدنا عن الجو الروحى فما هو المصير الذى ينتظرنا . إننا بذلك نفقد المعونة ونعمة الأستمرار .**

ربما كان الطريق صعباً فى أوله ، لكن ما أن يسير فيه الإنسان ـ لو بتغصب ـ حتى يصبح سهلاً هيناً بمعونة الله ... وكم من أمور كانت صعبة فى بدايتها ، وبعد ذلك زالت صعوبتها . إن الطفل أو الفتى يذهب إلى مدرسته مدفوعاً من والديه وليس بدافع ذاتى شوقاً للعلم . لكن الأمر لن يستمر هكذا . فسرعان ما يألف الدراسة والمدرسة والمدرسين والتلاميذ . وسنة بعد أخرى يُنهى دراسته الجامعية ... **وصدقت إحدى الناسكات وهى الأم سفرنيكى فى قولها : [تعب كثير يلقاه المبتدئون فى حياتهم الروحية . كالحطب اللين الذى حينما تشعل فيه النار يظل يخرج ابخرة ودخاناً يزكم الأنوف ويدمع العيون . ولكن ما أن تزول الرطوبة حتى يخرج حرارة ودفئاً . هكذا الإنسان المبتدىء فى حياته الروحية]** ... إن المبتدىء يحارب بالملل ، وتقابله صعوبات ومعوقات ، لكن ما أن يحتمل هذه المتاعب الأولى ، حتى تدبّ الحرارة الروحية فى قلبه ، بل يصير هو مصدراً لإشعاع الدفء الروحى والحرارة الروحية للآخرين ... الإنسان يحتاج أن يعامل نفسه بشىء من القسوة حتى يمكنه أن يثبت وهو فى بداية الطريق .

كانت الكتب المقدسة قديماً تكتب على الرقوق أى جلود الحيوانات . لكن جلود الحيوانات ما تصلح للكتابة عليها بعد ذبح الحيوان مباشرة ، إذ تكون طرية وليّنة وملطخة بدهن الحيوان . كان لا بد وأن تمر بعدة عمليات حتى تصبح صالحة للكتابة عليها . كان لا بد من كشط ما عليها من دهون جيداً ، ثم تُملّح وتجفف ، ثم تعالج بطريقة معينة ، وبعدها يمكن الكتابة عليها ... هكذا الإنسان فإنه لا بد وأن يجتاز بعض المراحل

حتى يصبح مستأهلاً أن تكتب على صفحات قلبه كلمات الله المقدسة **!!**
إذا علمنا ذلك فلنتشجع ولنثبت فى بداية الطر يق . ولنوقن أنه لا قيمة للبداية بدون اكمال الطر يق والوصول إلى نهايته ...

٢ ـ كيف نكمل الطر يق :

نعود إلى كلام الرسول بولس نفسه الذى ذكرناه فى أول هذا الموضوع ، ومنه سنعرف كيف نكمل الطر يق ... قال « جاهدت الجهاد الحسن . أكملت السعى . حفظت الإيمان . وأخيراً قد وضع لى إكليل البر » (تيموثاوس الثانية ٤ : ٧ ، ٨) .

إن بولس الرسول ـ بهذه الكلمات ـ يلقى نظرة سر يعة على حياته التى عاشها فى المسيح ، ويلخصها فى هذه الجمل الثلاث : جاهدت الجهاد الحسن ـ أكملت السعى ـ حفظت الإيمان ... والملاحظ على القديس بولس أنه فى بعض كتاباته يستخدم التشبيهات والاستعارات من الحياة المعاصرة ، وذلك بقصد تقر يب المعانى لأذهان من يكتب إليهم . **لذلك نجد الرسول يستخدم فى الآية السابقة ثلاثة تشبيهات : تشبيه المصارع اليونانى فى الجهاد ؛ وتشبيه العدّاء الذى يجرى فى السعى ؛ وتشبيه الجندى الرومانى فى الحفظ ...** والآن نأتى لفهم المعانى المقصودة بهذه التشبيهات الثلاثة . و يلزمنا أن نرجع إلى أصول هذه الكلمات باليونانية التى كتب بها الرسول ، لنكتشف عمق المعانى التى قصد إليها ...

بالنسبة للمقطع الأول « جاهدت الجهاد الحسن » ... الكلمة

المترجمة فى اللغة العربية « جهاد » هى اللفظ اليونانى آجون agon **المستخدم فى الألعاب الرياضية عند اليونان ... وكلمة « الحسن » هى ترجمة الكلمة اليونانية كالوس** kalos **ومعناها الحرفى يشير إلى الحسن الخارجى كما تراه العين ، لكنه فى نفس الوقت يعبر عن حُسن الداخل أيضاً ، والمقصود الشىء الواضح من خارج ... والجهاد الحسن هنا بحسب التعبير اليونانى ، لا يعبر عن صلاح أدبى ، بل عن جهاد المصارع المجاهد ...** وهكذا إستعار القديس بولس هذا التشبيه الذى كان مألوفاً لدى معاصريه من الأمم ، ليعبر عن جهاد المسيحى الذى يصارع ضد الشر... **ويلاحظ علماء اللغة اليونانية أن الكلمة المترجمة « جاهدت » هى** agonizomai **، وهى مستخدمة فى صيغة الماضى التام ، وهو يعبر عن حدث فى الماضى له نتائج فى الحاضر...**

والآن نستطيع أن نفهم بصورة أفضل ما قصد إليه الرسول من تعبير « جاهدت الجهاد الحسن » ... إنه تعبير عن جهاد المستميت الذى ينتظر الفوز فى النهاية ـ وهذا ليس غريباً على القديس بولس الرسول الذى قال : **« لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية »** (عبرانيين ١٢ : ٤) ... إنه جهاد لا يعرف التوقف أو الكلل ، أو الضعف أو الملل ... **ليس للمسيحى أوقات يلقى عنه سلاح الجهاد ضد الشر. ليس للمسيحى اجازة من الجهاد إلاّ إذا رفع الرب عنه القتال كما حدث مع بعض القديسين المجاهدين بعد جهاد إمتد لعشرات السنوات !!**

نأتى للتشبيه الثانى « **أكملت السعى** » ... وهنا أيضاً يستعير بولس تشبيهاً من الألعاب الرياضية التى كان اليونان الاغريق مغرمين بها ... **فالسعى هو الترجمة العربية للكلمة اليونانية دروموس** dromos **وتشير إلى حلبة السباق ... وكلمة « أكملت » هى ترجمة الكلمة اليونانية تليو** teleo **ومعناها فى السباق أن العدّاء (الذى يعدو ويجرى) قد تخطى خط النهاية ، وهو الآن يستريح فى هدفه ، لأنه إنهى عمله ...** وليس أدل على صدق وأصالة هذا المعنى فى نفس هذا الرسول وارتباطه بفكره ، من أن استعار نفس التشبيه فى رسالته إلى أهل كورنثوس ... قال لهم : « ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يركضون ، ولكن وأحداً يأخذ الجعالة . هكذا أركضوا لكى تنالوا . وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شىء . أما أولئك فلكى يأخذوا إكليلاً يفنى ، وأما نحن فإكليلاً لا يفنى . إذاً أنا أركض هكذا » (كورنثوس الأولى ٩ : ٢٤- ٢٦) .

نأتى للتشبيه الثالث « حفظت الإيمان » ، ولها معنى جميل ... إن كلمة « حفظت » هى ترجمة للكلمة اليونانية tereo **تريو ومعناها الحرفى الحفظ بواسطة الحراسة ، مثلما يحرس الإنسان شيئاً ثميناً عنده . فحينما يقول بولس : « حفظت الإيمان » ، لا يقصد الحفظ الكلامى ، بل حراسة هذا الإيمان من أى فكر غريب !!...** لقد دخل بولس فى حرب بلا هوادة مع المبتدعين والهراطقة . وكانت أكبر جولاته مع الغنوسيين والمتهودين ، ويشبههم بالوحوش (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٢) ... وهكذا حينما يقول بولس « **حفظت الإيمان** » **فإنما يعنى أنه**

عاش حارساً لهذا الإيمان الثمين المسلّم مرة للقديسين (يهوذا ٣) .

لقد احتمل الرسول بولس الكثير من أجل حفظ الإيمان وحراسته . لقد كرّس بعض الهراطقة جهودهم من أجل مقاومة بولس وهدمه إن أمكن . واستخدموا فى ذلك أساليب ملتوية بقصد الوصول إلى هدفهم ، ولكنه ظل كالصخرة التى تحطمت عليها محاولات هؤلاء الهراطقة ... نعم لقد حفظ بولس الإيمان من الغنوسيين والمتهودين والفلاسفة الوثنيين ، وهو الآن يُسلّم هذا الإيمان كوديعة إلى من أرسله !!

وثمة نقطة هامة أود الإشارة إليها . فنحن مكلفون بحفظ الإيمان بمفهوم بولس الذى شرحناه ... إن وحدة الإيمان المسيحى أمر بالغ الأهمية ... إنه إيمان مسلّم مرة للقديسين ... هذا الإيمان حددته الكنيسة الجامعة فى المجامع المسكونية قبل إنقسام الكنيسة ، وصاغته فى قانون إيمان واحد ، هو بمثابة الإطار الذى يجب عدم الحيدة عنه . لكن ملعون هو الشيطان الذى قسم كنيسة المسيح ، ومازال يبذر بذار الإنقسام تحت ستار خادع ، وبكلام معسول ولين يخدع قلوب السلماء !!... حينما تقول هذا الكلام يرمينا البعض بالتزمت . لكن هوذا يوحنا واحد من أكثر رسل المسيح حباً ووداعة ينهانا حتى أن نقول كلمة سلام للهراطقة لئلا نشترك فى أعمالهم الشريرة (رسالة يوحنا الثانية ١٠ ، ١١) .

« جاهدت الجهاد الحسن . أكملت السعى » ...

قلنا إن القديس بولس استعار تشبيه المصارع عن اليونانيين لكلمة

الجهاد - إنه جهاد من يُصارع ... وهذا التشبيه يحمل فى طياته التغلب على المعطلات والعقبات . وكأن بولس يريد أن ينطلق ، لكن الشيطان يصارع معه ويحاول أن يُعَطّله بصورة أو بأخرى ... وهكذا فإن المعنى النهائى ينطوى على التغلب على السلبيات . أما « السعى » فقلنا إنه تشبيه مستمد من العدائين الذين يطلقون لأنفسهم العنان فى الجرى والسباق ... وهذا يشير إلى النواحى الإيجابية ... وهكذا نرى فى هذه الكلمات حياة بولس منذ أن كان شاباً يافعاً ... لقد عاش أميناً لله حينما كان يهودياً فريسياً ... كان يضطهد المسيحيين عن إيمان بضلالهم لكن عن جهل بحقيقتهم وحقيقة مسيحهم والله الذى يعرف قلب كل أحد نظر إلى اخلاصه وجهله وافتقده برحمته ، وكشف له عن ذاته ، فأسلمه بولس ذاته بلا تحفظ ، وعاش له أميناً إلى النفس الأخير ...

لكن كيف نكمل الطريق :

أ - يقول القديس بولس إلى أهل فيلبى « ليس انى قد نلت أو صرتُ كاملاً ، ولكنى أسعى لعلى ادرك الذى لأجله ادركنى أيضاً المسيح يسوع . أيها الاخوة ، أنا لست أحسب نفسى انى قد أدركت . ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء ، وامتد إلى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع . فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (فيلبى ٣ : ١٢ - ١٥) ... إن هذا اختبار شيق وتدريب روحى مفيد ... الإنسان حتى لو كان سائراً بهمة فى طريق الله ، عليه أن ينسى ذلك استجلاباً للاتضاع وترسيخاً للفهم

الروحى السليم ، إننا ما لم نكمل الطريق فلا فائدة ... قد نخسر الجعالة ومعها نخسر كل شىء ... ثم هناك فائدة روحية أخرى من نسيان ما هو وراء ، حتى لو كان ضعفاً ... علىَّ أن اثبّت نظرى دائماً للأمام نحو رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى أمرنا ألا نضع أيدينا على المحراث وننظر إلى الوراء ...

ب ـ ثمة نقطة أخرى يكشفها لنا الروح القدس على فم سليمان فى سفر النشيد . يقول بروح النبوة عن النفس البشرية « **من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان وبكل اذرة التاجر** » (نشيد الأناشيد ٣ : ٦) . الطالعة من البرية هى النفس البشرية ، الخارجة من برية العالم ... إنها النفس التى أعطت ظهرها للعالم متجهة نحو الله ... أما تشبيهها بأعمدة الدخان ، فما ذلك إلاَّ تعبير عن التسامى نحو العلا . فأعمدة الدخان تتجه إلى أعلى . والنفس التى تسعى نحو الله يجب أن تتجه دائماً إلى أعلى ، متسامية مترفعة عن كل ما هو أرضى ... هذه الطالعة من البرية معطرة بالمر واللبان . والمر يشير إلى المشقة والجهاد وأعمال إماتة الجسد . واللبان يشير إلى عطر العبادة والصلاة .

أول شىء إذاً **أن نعطى ظهرنا للعالم المشبه بالبرية** ، ويكون إتجاهنا دائماً الصعود لا الهبوط الذى يشير إلى الإنتكاس ، كما نرى فى مثل السامرى الصالح الذى كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين اللصوص (الشياطين) (أنظر لوقا ١٠ : ٢٥ ـ ٣٧) ... **ولعل سليمان هنا كان يعود بذاكرته إلى شعبه قديماً حينما كان يرتحل فى البرية بعد أن خرج من مصر أرض عبوديته متجهاً إلى أورشليم الأرضية التى**

ترمز إلى أورشليم السمائية . هذه الطالعة من البرية تريد أن تستوطن عند الرب ... كانت هذه الطالعة معطرة بالمر واللبان . لقد أعدت هذه النفس ذاتها لعريسها فعطرت ذاتها ، ليس بأطياب العالم ، لكن بالمر واللبان . ومن العجيب أن يُعتبر المر عطراً ... إن المر واللبان يرمزان للنسك والعبادة ، الصوم والصلاة ، الإماتة والتسبيح . إن هذه هى مؤهلاتها التى تسر عريسها . إن عطر المر واللبان يشتمهما الله رائحة رضا . إنهما رائحة المسيح الزكية !!

ويمدنا أيضاً الوحى الإلهى على لسان سليمان فى النشيد بوسيلة أخرى نكمل بها الطريق ... يقول : « من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها » (نشيد الأناشيد ٨ : ٥) ... إنها تكملة للصورة الأولى التى فيها رأينا النفس البشرية كأعمدة من دخان . هنا نجد النفس البشرية « مستندة على حبيبها » ... يالها من صورة رائعة ومعبرة إلى اقصى الحدود ... **هى مستندة على حبيبها لثلاثة أسباب : لأنها مجهدة ومتعبة - ولأنها بحاجة إلى العون - ثم لأنها تحبه ، إذ هو حبيبها . وهذا تعبير عن عمق الدالة ...**

أولاً لا يمكن أن النفس البشرية تطلع من برية العالم إلاَّ وهى مستندة على المسيح . قال المسيح له المجد « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » ... إن الطريق صعب وشاق وكرب - وهكذا وصفه المسيح إلهنا - ومن ثم نحتاج فيه إلى معونة الرب . ثم أن هذا المنظر العذب يكشف لنا عن رفقة المسيح لكل الطالعين من البرية - أى لكل المجاهدين ... إن هذا الوصف يرد فى سفر نشيد الأناشيد ، الذى هو سفر

الحب الروحى بين النفس البشرية والله ... إنه منظر يكشف أيضاً عن اتضاع الرب العجيب . إنه لا يستنكف أن يأخذ بيد أولاده الذين يحفظون عهده ووصاياه ، بل يسمح لهم أن يستندوا عليه فى دالة وحنو.

٣ - فرحة اكمال الطريق :

رأينا كيف استعار القديس بولس الرسول بعض التشبيهات الزمنية المعاصرة كالمصارعة والسباق والجندية ليعبر بها عن حياته ... وفى نفس هذه الرسالة الثانية يكتب إلى تلميذه تيموثاوس شاحذاً همّته ، مشجعاً إياه فيقول له : « **فاشترك أنت فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح . ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جنده** » (تيموثاوس الثانية ٢ : ٣ ، ٤) ... هكذا يدعو الرسول تلميذه أن يتشبه بالجندى المنخرط فى سلك الجندية ...

إن هذا الجندى ، وهو متجه إلى ساحة القتال تتملكه مشاعر مختلفة ، هل يعود ثانية حياً ، أم يجرح أم يؤسر أم يُقتل !! لكنه على أى حال يذهب ليؤدى واجباً شريفاً . لكن حينما تضع الحرب أوزارها ، ويعود منتصراً ، فإن فرحته لا يُعبر عنها . هكذا الإنسان المجاهد ، فرحته بإكمال الطريق لا يمكن أن يُعبر عنها ... « **يزرعون بالدموع ويحصدون بالفرح . سيراً كانوا يسيرون حاملين بذارهم ، ويعودون بالفرح حاملين اغمارهم** » (مزمور ١٢٦) ... هنا يهتف الرسول هتاف الفرح بالنصرة « وأخيراً قد وضع لى إكليل البر ، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل . وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » (تيموثاوس الثانية ٤ : ٨) .

إن فرحة الطريق هى فرحة اكماله . فالوليمة السماوية تنتظرنا ... وما أكثر الأمثلة التى أعطاها لنا رب المجد يسوع عن العشاء العظيم وعن العرس الذى دعا إليه الملك ... **إن فرحة اكمال الطريق هى فى فرح المسيح بنا ومواساته وتعزيته للمتعبين . إنه يمسح كل دمعة من عيونهم ... هكذا اعلن الرب ليوحنا فى رؤياه « لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية . ويمسح الله كل دمعة من عيونهم »** (رؤيا ٧ : ١٧) ... والخروف الذى فى وسط العرش هو المسيح ... ويكتب يوحنا فى موضع آخر من رؤياه **« وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس . وهو سيسكن معهم . وهم يكونون له شعباً . والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم . وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم . والموت لا يكون فيما بعد . ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فى ما بعد ، لأن الأمور الأولى قد مضت »** (رؤيا ٢١ : ٤) ... هذه هى النهاية ... لقد وصلنا إلى الراحة والمجد ، حيث الله ذاته .

ولعله من المفيد أن نتذكر هنا كلمات الرب يسوع عن النهاية :

« الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح . المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت . ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح ، لأنه قد وُلد إنسان فى العالم . فأنتم كذلك عندكم الآن حزن ، ولكنى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يوحنا ١٦ : ٢٠ - ٢٢) ... هذا تصوير حىّ

لكن من يكون هذا المولود الذى ولدته تلك المرأة فأنساها حزنها وبدّله إلى فرح ؟!... يقول الآباء القديسون أن الفضيلة هى مولود النفس . ولذا فإن المسيح له المجد وهو يتكلم عن الأيام الأخيرة يقول : « ويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام » . ويفسر القديس چيروم هذه الآية تفسيراً روحياً جميلاً فيقول : المرأة الحبلى هى التى لم تلد بعد . والنفس الحبلى هى النفس التى لم تلد الفضيلة بعد . والمرضعات هن اللائى مازال اطفالهن صغاراً . والنفس المرضعة هى التى لم تكتمل فضيلتها بعد ... **هكذا نفهم كلام المسيح إن الإنسان يجاهد حتى يلد الفضيلة ويقتنيها ... واقتناء الفضائل يحتاج من الإنسان إلى احتمال الشدة ، على نحو ما تحتمل المرأة الحامل آلام المخاض والوضع ... لكن المخاض لازم ، فهو الذى يدفع بالجنين إلى خارج احشاء أمه .** ولكن فى كلتا الحالتين يفرح الإنسان سواء بالمولود أو بالفضيلة ، ومعها لا يعود يذكر الشدة والتعب .

٤ ـ لماذا هتاف النصرة ؟

هناك تساؤل ... ما الذى دعا بولس إلى أن **يهتف هتاف النصرة هذا** وهو فى نهاية الطريق ويقول « واخيراً قد وضع لى إكليل البر » ... وهى مكتوبة بصيغة الماضى التام . **أى أن الأمر ليس مجرد رجاء يرجوه ، بل هو واقع حىّ ، وكأنه يراه ماثلاً أمامه !!**

إن القديسين فى اللحظات الأخيرة من حياتهم تُكشف لهم بعض

الرؤى والمناظر السمائية ... ونحن على مستوانا نرى بعض الأتقياء وقت **إنتقالهم** يتكلمون كلاماً مُضغماً غير مفهوماً ، و يغيبون عمن حولهم . ثم **يفيقون** وكأنهم كانوا فى غيبوبة . وبعض الناس فى سذاجة يظنون ذلك نوعاً من الهذيان الذى يصحب اللحظات الأخيرة لحياة الإنسان ... لكن الأمر على خلاف ذلك . إنهم يرون أموراً وأشياء ، ولا يراها من هم حولهم . و يسمعون كلمات وأشخاص يكلمونهم وهم يجاوبونهم . كل ذلك يكون معلناً لهم وحدهم دون من حولهم . وهذا واضح جداً فى حياة الشهداء . وسأقصّ عليكم بعض أمثلة لهذه القصص من سير الشهداء .

استفانوس شهيد المسيحية الأول ، فيما كان اليهود يرجمونه ، وكان يشخص نحو السماء ، مثبتاً نظره فيها : لأن قلبه وفكره كانا هناك . و بالتأكيد أنه ما كان يحسّ بالحجارة التى كان يُرجم بها : « **فرأى مجد الله و يسوع قائماً عن يمين الله . فقال ها أنا أرى السموات مفتوحة ، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله** » (أعمال الرسل ٧ : ٥٥ ، ٥٦) .

فى قصة استشهاد بربتوا شهيدة قطاجنة الشريفة الشهيرة ، وكانت تبلغ من العمر نحو عشرين عاماً ... رأت قبل استشهادها فى حلم سلّماً كبيراً ذهبياً يصل الأرض بالسماء ، وكان ضيقاً لا يتسع إلاّ لشخص واحد . وعلى جانبيه آلات التعذيب . ومن أسفل عند أول درجة للسلم رأت تنيناً مرعباً مخيفاً يتحفز للانقضاض على من يحاول ارتقاء درجات هذا السلم صاعداً إلى السماء ... رفعت بربتوا رأسها فرأت معلمها ساتورس الذى لقنها الإيمان ، وهو فى نفس الوقت شقيقها ، يصعد السلم . وحينما وصل إلى نهايته من أعلى صاح قائلاً لها : بربتوا إنى فى انتظارك .

ولكن احذرى لئلا يلتهمك التنين ... حينئذ قالت بربتوا : باسم يسوع المسيح سأصعد ولن أخاف التنين . وبجرأة وضعت قدمها على التنين وكأنها الدرجة الأولى من درجات السلم . ثم ابتدأت تصعد مسرعة ، وأخيراً وصلت ... وكان يقف عند نهاية السلم رجل ممشوق القامة فى رداء أبيض ناصع ، وحوله وقف ألوف ألوف يرتدون ثياباً بيضاء ... هناك وجدت الراعى الصالح فى انتظارها ممتلئاً رقة نحو خرافه - ثم رفع ذلك السيد رأسه ونظر إليها وقال لها مرحباً بطفلتى . ثم ناداها وأعطاها كعكة ، وكان الجميع يرددون كلمة آمين . واستيقظت بربتوا وكانت تشعر بحلاوة تملأ حلقها !!

وساتورس الذى أشرت إليه فى القصة السابقة رأى فى حلم أربعة ملائكة قد حملوه ووضعوا عليه ثوباً أبيض ، واحضروه بين أصدقائه الشهداء الذين عرفهم وهو على الأرض ... وبعد ذلك يروى ساتورس ما رآه ... يقول : [أبصرنا نوراً عظيماً . وسمعنا صوتاً يسبّح قائلاً قدوس قدوس قدوس . ولما أُحضرنا أمام عرش الرب يسوع جمعنا إلى حضنه] ...

أمثال هذه الرؤى والإعلانات اعلنت لهؤلاء الشهداء القديسين ، وسمح الرب أن تروى لنا على افواههم حتى ما نتشجع فى جهادنا ، ونستهين بخفة ضيقاتنا التى لا تقاس بما احتمله الشهداء ...

علينا أيها الاخوة أن نجاهد ولا ننظر إلى الوراء . فالذى يضع يده على المحراث و ينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السموات ... علينا أن نثبت فى

محبة الله حتى ما نثبت فى الطريق ... وحينما يرى الله تشبثنا بطريقه سيرافقنا ، وسيُهبّ لنجدتنا كلما كنا بحاجة لنجدته ومعونته ... وما أكثر التعزيات التى يفيضها علينا ونحن سائرين فى هذا الطريق . وما أكثر ما نحسّ بيده الحنونة تربت علينا ، وصوته العذب الحنون يشجعنا « أنا هو لا تخافوا » ...

مبارك هو إلهنا الذى أحبنا وأعطانا رجاء صالحاً بالنعمة ، وأتى بنا إلى هذه الساعة ، وأعطانا نعمة اكمال هذه السلسلة « معالم الطريق إلى الله » . ليت الرب يعيننا جميعاً ، ويشجعنا ويقوينا ويثبتنا . ويتخذنا آلات بر فى يمينه ، يتمم بنا مشيئته المقدسة الصالحة المرضية الكاملة ...

صلوا عنى وعن كل الذين يحبون ظهوره أيضاً . وله كل المجد والكرامة إلى الأبد آمـــين .

فهرست

« معالم الطريق إلى الله » ...

إنه كتاب روحى يرافقك أيها الأخ الحبيب ، ويأخذ بيدك ، ليشرح لك معالم رحلة غربتك فى هذا العالم وأنت فى طريقك إلى الله ...

إنه كتاب واقعى ... كما يُبَيّن لك صعوبات الطريق ، فهو يملأ قلبك بالرجاء ، حينما تحسّ انك لست وحدك فى هذا الطريق ... كثيرون يرافقونك ويسيرون معك . بعضهم تبصرهم وآخرون لا تراهم ... وعلى رأس هؤلاء جميعاً الرب يسوع نفسه ...

نقدم لك هذا الكتاب ليكون عوناً لك فى مسيرتك إلى الأبدية ... والرب يسوع المسيح الذى قال : « أنا هو الطريق » ، يُسهّل لك طريقك حتى تصل إليه .

الثمن ١٠٠ قرش